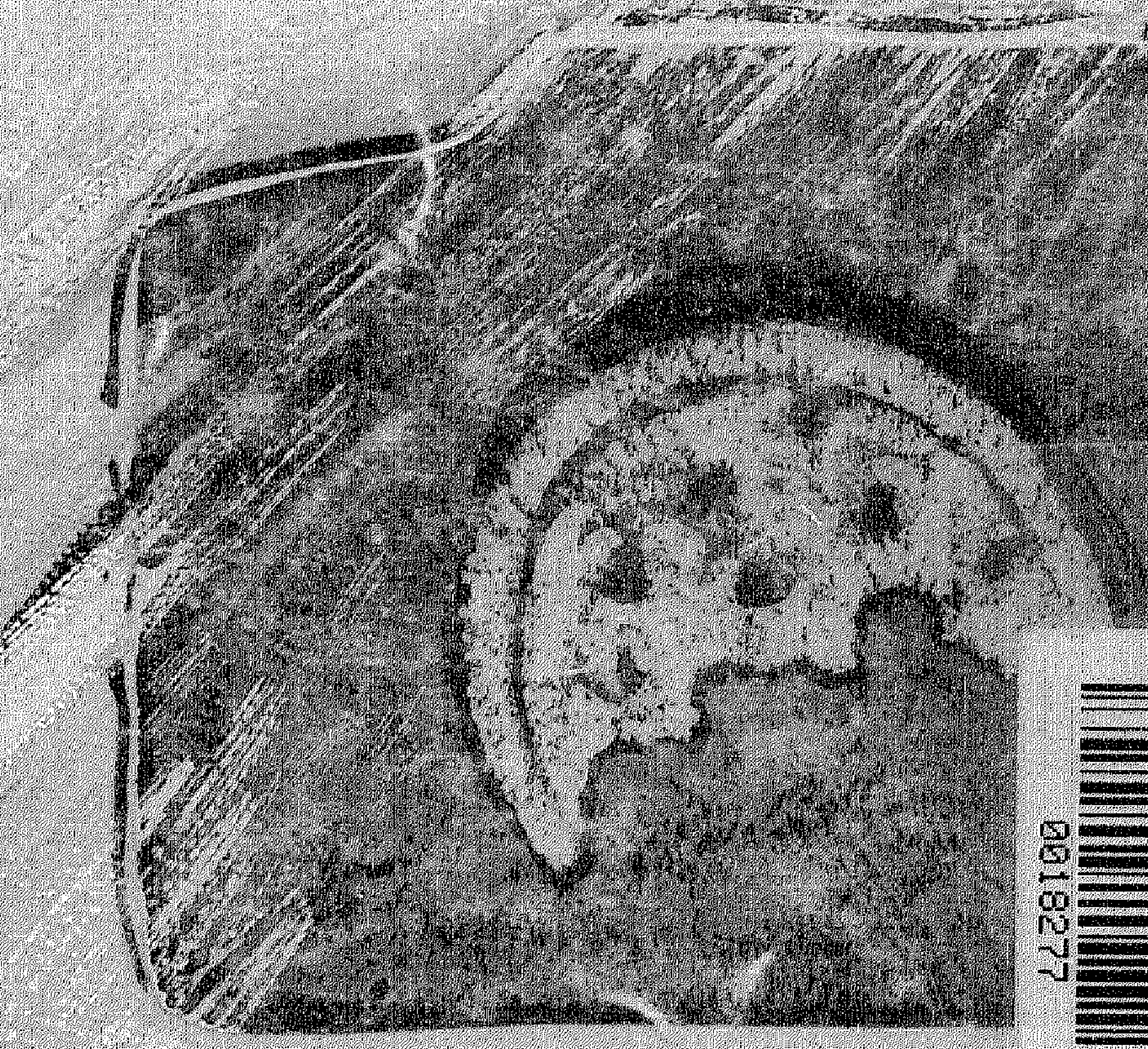
ممدوح الزوبى

رحلة البشرية للوصول إلى الخالق



دار النصير

طباعة . نشر . توزيع

ممـــدوح الزوبي

رحلة البشرية للوصول إلى الخالق

رحلة البشرية للوصول إلى الخالق

الطبعة الأولى / ١٩٩٧

الناشر : دار النمير للنشر والتوزيع

التنضيد : دار الشجرة للخدمات الطباعية
دمشق . مقابل مؤسسة صامد ☎ ٦٣٢٠٧٧٥

تصميم الغلاف الخارجي : زكريا شريف

التصميم والإخراج الفني : منال وليد غنيم

رحلة البشرية
للوصول إلى الخالق

ممدوح الزوبي

الإهداء

إلى الباحثين عن الحقيقة الذين بذلوا
الغالي والرخيص في سبيل إيجادها

إلى روح والدي رحمه الله المؤمن
بالله اولا وبالعلم والمعرفة ثانيا .

كلمة شكر

اتوجه بشكري الجزيل الى كل من مدّ لي
يد المساعدة لإنجاز هذا العمل . . .

واخص بالذكر زوجتي وابنتي
تغريد وسلام . . .

مدخـــل

لا شك أن الولوج في موضوع الأديان ومعرفة الخالق عز وجل موضوع شائك وقد يضر بالباحث إذا لم يحسن دراسته والتمعن فيه لهذا يجب أن يتهيأ لدراسته بشكل جيد بحيث يلم بأمور دينه إلماماً تاماً وأن يكمل دراسة بعض الأمور الأخرى التي من شأنها تفهم هذا الأمر وإلا فقد يسيء ذلك إلى معتقدات الدارس لذلك لا يمكن لدارسي الأديان تفهم الغاية منه ما لم يقفوا وقوفاً تاماً على أحكام دينهم.

إضافة إلى ما سبق فإن هناك أمراً هاماً لا بد من أخذه بعين الاعتبار عند دراسة الأديان والبحث عن الخالق عز وجل.. هو أن الإنسان الأول (آدم) عليه السلام كان يعرف خالقه تماماً حيث عاش في الجنة منذ البداية وعلمه الله عز وجل الأسماء كلها إضافة إلى أمور أخرى تتعلق بدينه فكان

مسلماً اعتنق ما علمه الله من مبادئ وأفكار وقيماً دينية. لكن وعند هبوطه إلى الأرض بعد أن اقترب من الشجرة التي حرمها الله عليه بوسوسة من إبليس الرجيم... وبعد أن تزاوج مع حواء في الأرض وأنجب ذرية كبيرة بدأت تنتشر في أرجائها، ونظراً لبساطة وسائل الاتصال أو بمعنى أصح انعدامها تماماً وبعد أن أخذ أولاد آدم بتشكيل مجموعات بشرية متباعدة ومع مرور الأزمان أخذ الناس في خضم معركتهم مع الطبيعة من أجل البقاء ينسون مبادئ الدين الأولى التي علمها الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام وعلمها بدوره لهم.

ونظراً لانعدام الكتابة والقراءة واعتماد الناس على ذاكرتهم أخذ الآباء والأجداد بنقل تجاربهم الدينية التي أخذوها عن آدم عليه السلام إلى أبنائهم وأحفادهم بأسلوب تختلط فيها النوازع الشخصية ويسيطر عليه التوجه الفكري لدى الأب أو الجد حتى جاءت مختلفة من قوم إلى قوم آخرين. وغالباً ما كانت الخوارق هي التي ترسخ في أذهان الناس وعند روايتها يضيفون إليها ما يعزز الاعتقاد بها مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تشويهها لكن الأفكار الرئيسية بقيت ثابتة. مثل الإله القادر الخالق المنظم لهذا الكون والجنة والنار والعقاب والثواب بالرغم مما شابها جراء تناقلها وإضفاء مزيد من التشويق عليها عند روايتها.

ومما سبق نستنتج أن الدين سابق للأساطير أو لأفكار الناس التي يعتنقها وجدانهم الجماعي عن الخالق والجنة والنار ويوم الحساب.. وليس كما يقول بعض المفكرين أن منبع الدين هو الأسطورة... فالأسطورة مصدرها الدين وأصبحت أسطورة بفعل التشويهات التي طرأت عليها بما أضاف إليها راويها من محض خياله

لإضفاء عنصر التشويق عليها خاصة وأنها رويت مئات المرات ونقلت بأساليب مختلفة من جيل إلى جيل فتعرضت لتشويهات تجارب الفرد وتجارب الجماعة في آن معاً وجاءت مختلفة من فرد إلى آخر. ومن جماعة إلى أخرى.

وعندما اخترع الإنسان التدوين والكتابة بدأ كل قوم يدونون تجاربهم الدينية والفلسفية على الشاكلة التي وصلتهم فيها وليس كما وردت أصلاً على لسان آدم... ولتدارك هذا الأمر أرسل الله عز وجل أنبياءه مبشرين ومنذرين كما قال في كتابة العزيز ﴿وما من أمة إلاّ خلا فيها نذير﴾. لكن الخرافات والأساطير غلفت كثيراً من جوهر التفكير الديني ومع ذلك لم تستطع أن تطفئ نور الله.. لذلك فإن أسس هذه الأديان تشكل كلاً متكاملاً ويظهر ذلك من خلال عمليتي التجربة والتحليل والتشابه في جميع الأديان وكذلك الاعتقادات بوجود الخالق والعقاب والثواب وفي عودة إلى الخوف من التبحر في دراسة التفكير الديني ورحلة البشرية في البحث عن الخالق كان علماء المسلمين الأقدمون يمنعون تدريس بعض المباحث قبل أن يتهيأ لها الطلاب من ذلك منع بعضهم تدريس علم الكلام وعلم المنطق اعتقاداً منهم أن هذه الدراسات تضر الطالب المبتدئ قبل الاستعداد الكلي لها.

وفي الغرب يدرس موضوع الأديان عادة في كليات الإلهيات المتخصصة وفي الكليات الدينية الخاصة بالمؤسسات الدينية.. ولا ينتمي إلى هذه الكليات إلاّ من أكمل الدراسة الدينية أو الدراسات الخاصة التي تؤهله لدراسة موضوع الأديان الأخرى ليكون صبوراً ينتظر نتائج البحث قبل أن يتبنى آراء خاطئة.

وقد تطرق العديد من علماء اللاهوت الغرب إلى الأديان حيث تبنى الأستاذ الفرنسي روجر باسنر فكرة أسبقية الدين عن الأساطير لدى البشر معللاً ذلك بأن هذه الأساطير قد تكون وقائع تاريخية حرفها البشر وزادوا عليها وعظموها أثناء تناقل الأجيال المتلاحقة لها لتكون رموزاً أخلاقية...

وأشار الأستاذ باستر إلى أن جوهر الأديان كان ولا زال هو الإيمان بقوة لا تحدها حدود خلقت هذه الأكوان وأشرفت ولا زالت تشرف على تنظيمها بدقة متناهية..

أما هربرت سبنسر فيعرّف الدين بأنه الاعتقاد بوجود كائن لا يدركه العقل وهو موجود في كل مكان... والأستاذ الهولندي (ناثان سوغريلوم) يعرّفه بأنه علاقة البشر بالقوى التي يؤمن بها والتي يشعر أنه خاضع لها وتظهر هذه العلاقة بأحاسيس خاصة كالرجاء والخوف وبأعمال وطقوس خاصة كالقرابين والصلاة وأداء الأوامر الخلقية. والعالم اللاهوتي موريس جاستروف عرف الدين بـ(شعور الناس بوجود قوة أعظم منهم شأناً واعتقادهم بأن لهم صلة بهذه القوة وسعيهم لإيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة).

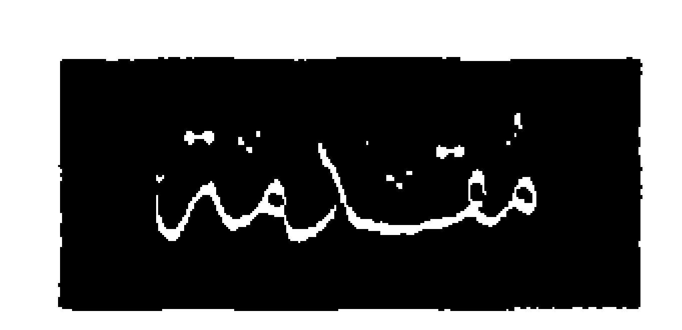
والتعريفات والقواعد السالفة الذكر تنطبق على جميع الأديان لذلك نستطيع نحن إيجاد تعريف للأديان السابقة للأديان السماوية وتلخيصها برحلة البشرية في البحث عن الخالق المتحكم في كل شيء والمنظم لهذه الأكوان...

وليس من شيء في الوجود يضاهي سلطان الدين في سيطرته على الأفراد وزجرهم وكبح جماح غرائزهم سواء كان الفرد بدائيا أو متمدنا .

وقد قضى البشر قرونا لم ينفكوا خلالها عن السعي إلى معرفة خالقهم ومنشئهم ومصيرهم وكانوا في طريقهم إلى هذه المعرفة يقفون تارة حيارى ويهرولون تارة بحماس فيضلون الطريق أحيانا ليقعوا في الهاوية فيسعون للخروج منها.. وفي كل هذه الحالات كان الهدف واحدا هو البحث عن الخالق ومعرفة الباري وهكذا تطور التفكير الديني لدى الإنسان فقد اعتقد أولا بألوهية الروح ثم اله مظاهر الطبيعة التي خافها ولم يجد لآثارها (الخيرة والشريرة) تفسيرا أو ردا .. ثم أمسى وثنيا فعبد الأحجار.. ولما تدرج في سلم الرقي وسما إدراكه وفطن إلى أنه لا يجوز أن يكون للأحجار والأشجار الحول والقوة أعرض عنها واله الروح التي أحسها فيها...

بعد ذلك أخذ الإنسان في ملاحظة النظام الباهر الذي يسير عليه الكون فتصور إلها واحدا يملك القوة على تحريك هذه المخلوقات بنظام دقيق بدقة متناهية.

كاظم ممدوح



مقدمة

شكلت رحلة البحث عن الخالق أساساً لجميع العقائد والأديان الإنسانية منذ قديم الأزل.. حيث تركزت لهفة الإنسان مذ وجد على هذه البسيطة على معرفة خالق هذا الكون المحيط به بما فيه من أخطار وأسرار ومدهشات وأعاجيب لم يستطع الإنسان لها تفسيراً... فقد اقتنع منذ البداية بوجود قوى أو قوة خفية ذات قدرات خارقة تسيطر على هذا الكون وتعمل على تنظيمه وترتيبه بدقة متناهية.

وبدأ الإنسان عملية التأمل والتصور حتى جسد كل خارق مما يحيط به ولا يستطيع الوصول إليه أو تفسيره ليجعله إلهاً يعمل على استرضائه بتقديم الضحايا والقرابين حيناً(كما كان يفعل المصريون عند طوفان نهر النيل) أو ابتداع طقوس تعبدية (كما فعلت العديد من الأجناس

بالسجود أما النار أو الشمس أو غيرها) فالنار والريح والشمس والقمر والنجوم والمياه والبرق والرعد.. كانت جميعها آلهة محتملة بالنسبة للعديد من أجناس البشر الذين تناقلوها عبر أجيالهم ليجسدوها جيلاً بعد جيل آلهة يقيمون لها المعابد والطقوس التعبدية ويقدمون لها في كثير من الأحيان القرابين البشرية وغير البشرية. وقد أطلق على هذا النوع من العبادات (تعدد الآلهة) حيث تصور الإنسان وجود إله للبرق وآخر للشمس وثالثاً للخير ورابعاً للشر وخامساً للمطر وسادساً للنار..

لكن إلى جانب ذلك كان هناك توجهاً توحيدياً.. فبعد أن استوعب الإنسان جميع القوى المحيطة به الغامضة المصدر وتعود عليها أخذ يتساءل عن سر وجودها وكيفية هذا الوجود ومن الذي أوجدها ليصل إلى فكرة مفادها أنه لا بد من وجود خالق لكل ذلك.. خالق أقوى من جميع هذه القوى استطاع بمفرده أن يضع كل ذلك.. وتعمق الإنسان في تأملاته سعياً وراء أجوبة عن كيفية إيجاد هذه المخلوقات.. فكيف أقام الخالق السماء وكيف بسط الأرض.. وكيف أنبت الشجر وجعل بعضه مثمراً والبعض الآخر عاقراً؟..

وكان لابد للإنسان البدائي من أن يستخدم خياله أو تجربته للإجابة على الأسئلة الغامضة المحيطة به.. أترى يكون قرص الشمس هو الخالق.. أو القمر أو النجوم... ولكن لا هناك قوة أخرى هي التي خلقت الشمس والقمر

والنجوم وهي التي تتحكم بحركته فتجعله يظهر في النهار ويختفي في الليل قصة (النبي إبراهيم) التي أوردها القرآن الكريم.

ولكن هذه الأجوبة لم تأت في عام أو عامين.. بل أتت نتاجاً لسعي أجيال من البشر لمعرفة الخالق عبدوا الشمس والقمر والكواكب.. حيث تصوروا أن الشمس إلهاً يركب عجلة من نار كل يوم فيرى العالم ويراقبه ويحصي على البشر حركاتهم وسكناتهم وفي الليل يضع عجلة النار التي يركبها في بهو الظلمات ويأوي إلى فراشه ثم يخرج العجلة في النهار التالي ليقوم برحلة ثانية عبر السماء.. أما إذا شعر بالكسل يوماً فإنه لا يقوم بهذه الرحلة فيكون يوماً غائماً تحجب الشمس فيه.. لذلك لجأ عابدو الشمس إلى الصعود إلى أعالي الجبال كل صباح لاسترضائها بالغناء والأناشيد التي تثني عليها.

ويعود الإنسان إلى التأمل ليستنتج إنه إذا كانت الشمس إلهاً فلا بد أن يكون القمر كذلك إلهاً يقوم برحلة الليل.. وليبدأ باستنباط طقوس جديدة لاسترضاء الإله الجديد.. وهكذا كانت التجربة مع النجوم التي تملأ السماء ليتقرب منها الإنسان كذلك بالصلاة والتراتيل.. وليفعل الشيء ذاته مع الرعد والريح والمطر المنهمر والمحيط والغابة.

وقد لاحظ علماء الآثار الكثير من التراتيل التي تعكس عبادة الإنسان لقوى الطبيعة ومن هذه التراتيل ما وجد في أحد الكهوف:

يا روح الشمس.. استيقظ بسلام
أنت يا ذا النور المضيء الطاهر
إنك أنت الذي تشرق على كل مكان بنورك
ونور عجلة النار التي تركبها
لا تغضب علينا وتنزل بنا نقمتك
اظهر في سلام
يا حسن الوجه
يا رب الأشعة
يا خالق النور

ويعتقد المؤرخون أن ما سبق هو أول عهد الإنسان بالتراتيل الدينية الهادفة إلى استرضاء الآلهة الغامضة.. وكانت أول رحلة الإنسان في مجاهل البحث عن الله الخالق المنظم لهذا الكون البديع المحيط بنا من كل جانب. ومع مضي السنين وازدياد البشر على الأرض بدأوا يتصورون آلهة أخرى ويرسمون ما يتصورون على جدران الكهوف التي يقطنوها ثم أخذوا يجسدونها في تماثيل معينة لتبدأ رحلة الإنسان في عبادة الأوثان التي كان يتصورها كأرواح تتوسط مع الآلهة لتكف غضبها ونقمتها عنه. ولا يمضي وقت طويل حتى يكون في كل كهف صورة أو صنم خاص بسكانه وهكذا

يصبح لكل أسرة إلهاً خاصاً بها يتوسط لها مع الآلهة المسيطرة الأخرى. وقد تصور الإنسان البدائي أن لهذه الأصنام قدرة إذا تقدم إليها بقرابين على أن تفعل الخير له وترد ضرر الأعداء عنه.

ولم يتوقف الإنسان عند هذا الحد بل واصل البحث عن الخالق الأساسي الذي تصوره مصدراً رئيسياً للقوة والخلق والسيطرة.. وبهدف موافقة ما توصل إليه مع عملية البحث هذه بدأ يتصور الخالق الأساسي تحيط به الآلهة التي استنتج وجودها حوله تراقب الناس وتحصي أعمالهم وتجزي المحسن خيراً وتعاقب المسيء بالعذاب.. ومن هنا جاءت فكرة رب الأرباب أو كبير الآلهة حيث جعلوا الآلهة الأخرى أتباعاً له يزودهم بالقوة المطلقة التي تمكنهم من تنفيذ إرادته الإلهية.

وكان لابد للإنسان من أن تختلط في ذهنه صور العالم الألوهي بواقع العالم الأرضي الذي كان يعيش فيه ليتخيل مجتمعاً إلهياً تختلط فيه النزعات والأهداف والمهام منهم الإله الذكر والإله الأنثى.. إلا أنه نسج الأساطير حول هذا العالم الغامض وقدراته الخارقة ومن هذه الأساطير قصة الطوفان في مصر القديمة حيث كان نهر النيل يشهده بشكل سنوي. فقد تصور الإنسان المصري القديم إن هذا الطوفان يأتي نتيجة لغضب الآلهة ونقمتهم على البشر حيث يفجرون

عيون السماء ويسلطونها على النهر ليفيض ويقتل الناس ويهدم القرى إلاّ من تصطفيهم الآلهة.

كما تصور الإنسان القديم طوفاناً كبيراً أنهى الحياة على وجه الأرض إلا إنساناً واحد اصطفته الآلهة مع عدد من أتباعه لتساعده بعد ذلك في إعادة الحياة على وجه الأرض فكان تجتوح عند السومريين وكزيزوتروس عند الآشوريون ودوكاليون عند الإغريق...

وعاد الإنسان خلال ذلك ليواصل المسير بحثاً عن الحقيقة الكامنة في الوصول إلى معرفة الله ليصل إلى هذه الحقيقة مع بزوغ فجر الأديان السماوية بتحميل إبراهيم الخليل أبو الأنبياء رسالة النبوة والسعي إلى هداية البشر إلى الحقيقة التي يبحثون عنها منذ وجودهم على الأرض. ومنذ ذلك الحين أخذت الأفكار البدائية التي ابتدعها خيال الإنسان البدائي بالتلاشي.

لكن مع ذلك فلا زالت بقايا هذه الأفكار راسخة في وجدان بعض الشعوب والأمم التي لم تتح لها الفرصة بالاختلاط بأصحاب الديانات السماوية منذ نزولها.. ولا زالت هذه البقايا مسيطرة على العادات والتقاليد والثقافة الإنسانية لهذه الشعوب.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يسلط الضوء على تفاصيل رحلة التفكير الإنساني بحثاً عن الخالق والتي أوجزنا ملامحها في مقدمتنا ليصل في النهاية إلى إدراك

هذا الخالق من خلال الأنبياء والرسل الذين أرسلهم لهداية البشر ومن خلال الكتب السماوية التي شكلت دساتير إلهية تنظم حياة هؤلاء البشر وتوجههم نحو الخير وتبعدهم عن مجاهل الشر ومتاهاته. وانطلاقاً من ذلك فقد أدرك المسلمون منذ إبراهيم الخليل الذي سمى أتباعه بالمسلمين.. أدركوا حقيقة الفرق بين الخير والشر وأن الخالق خير عظيم.. إلاّ أنه ومع ذلك فلا زال للشر قلاع وحصون منتشرة في أرجاء الأرض..

الآلهة في عقائد المصريين القدماء:

انطلق المصريون القدماء في فكرة التوحيد من وجود اله واحد مسيطر على كل شيء وخالق لكل شيء في ركابه العديد من الآلهة الذين ينتظرون أوامره لينفذوها ويحققوا رغباته.

وقد أوردت الأساطير المصرية التي وجدت مكتوبة على ألواح أو منقوشة على جدران الكهوف والأهرامات والمعابد القديمة... أوردت العديد من القصص والأساطير التي تحمل الحلول لسر وجود الله القادر على كل شيء المسيطر على كل شيء القادر على الخلق.. حيث توصل خيالهم حينذاك إلى اله سموه (رع).. وهو الشمس.. فقد أورد أحد الألواح النص التالي (يفتح رع اله الشمس عينيه فيبزغ الفجر على الوجود وينهض من فراشه ليدلف إلى الحمام فيستحم بالماء البارد.. وتقبل عليه (أنوبيسا) آلهة الندى فتصب عليه أباريقها الأربعة الطاهرة فيما ينطلق الإله مورس فيدلك جسده وينحني الإله توت فيجفف ساقيه..

وما يكاد الجميع ينتهي حتى يرتدي الإله الأكبر (رع) ملابسه المتلألئة ذات البريق ويصل إلى زورقه العلوي فيتسلقه وينطلق فيطلع النهار ويهتف الناس والآلهة:

تباركت يا رع يا خالق السماوات والأرض يا مرسي الجبال وساقي البحار يا رسول الفرح والحرارة والضوء إلى

أرض السلام.. ومن الشرق تبدأ دورة كل يوم لتنتهي بعد ذلك في الغرب حيث يختفي موكب رع في ظلمات الأفق فتظلم الأرض وتضيء ظلمات العالم السفلي.. إقليم الجحيم الرابض في الأعماق وهناك يستمر مسير الإله على صفحة نهر كبير يخترق وادياً يتفرع إلى اثني عشر فرعاً تفصل كل واحد منها عن الآخر جدران هائلة ذات أبواب ضخام.

وتجري رحلة الليل كما تجري كل يوم وتمر الساعات هادئة طوالا والإله رع لا يزال يسير حتى يلج الباب الذي يصل إلى حدائق (ايالو) حيث يرقد رقدة قصيرة في قصره الكبير.. ما أسرع ما ينهض بعدها ليبزغ الفجر وتبدأ إشراقة يوم جديد.

وتضيف الأسطورة في مكان آخر أن (جميع الناس يسجدون لرب النور في كل صباح الرب السخي على كل خلقه في هذه الأرض.. حيث يقابلهم ويهديهم ويقضي على الظلم ويرفق بالمعذبين ويزيل عنهم الأوجاع ويعلم الناس تعاويذ الوقاية من خطر الثعابين والحياة.

وتقول نفس الأسطورة إنه (في البدء لم يكن هناك غير محيط أزلي مظلم برز منه اله الشمس بقدرة فيه وكان هو نفسه رع.. تماماً كما كان هو نفسه أيضاً الإله الأولي (آتوم).. وبقوته المذكرة أو بقوة الاستمناء اعتلى (رع آتون) حجراً مدبباً من أعلاه ثم خلق من نفسه أول زوج من الآلهة هما (شو) اله الهواء و(تفنوت) آلهة الندى ومنهما ولد الإله

(جب) اله الأرض و(توت) آلهة السماء.. وكانت الأرض والسماء ملتصقين ففتقهما الإله (شو).. ومن تزاوج جب وتوت ولد (أوزوريس) و(ايزيس) و(ست) و(تفنيس) ومنهم تكون التاسوع الإلهي المقدس للشمس.

وتكمل النصوص القديمة الأسطورة لتصور الإله رع وقد شاخ ويدأ البشر يتغامزون ويتهامسون عليه فيغضب ويسلط عينه (حاتمور) لتعمل بالناس طعناً وتذبيحاً وقتلاً وتعب الدم عباً، وذلك انتقاماً لأبيها المقدس ممن كانوا يفسدون.. بعد ذلك علت صرخات البشر ذليلة تطلب الغفران ومن (غليانه أطل رع فإذا مصر كلها أنهار من دماء) فأخذته الشفقة والرحمة بالناس وصاح بابنته أن تكف عن القتل والتذبيح لكنها ما سمعت له أبداً.. فلجأ إلى مسكر بلون الدم وسقاها فسكرت ولان قلبها فهدأت وعادت الحياة من جديد على ظهر الأرض.. لكن رع تعب ويدأت الشيخوخة تنخر في جسده فنادى ولديه شو اله الجو وتوت آلهة السماء.. فأمر شو بإدارة شؤون البشر والكون فيما أمر توت أن تحمله على ظهرها وترفعه بعيداً عن الأرض فتحولت إلى بقرة وحملت أباها فوق ظهرها الكبير لكن قواها خارت فطلبت العون من أخيها شو وحملها شو فامتد بطنها قبة زرقاء صارت نفسها هي السماء فيما بعد التي تغطي الكون وراح الإله رع ينثر على صفحتها النجوم لتنير الليل.

من الأساطير السالفة الذكر وما صاحبها من تصورات بدأت رحلة المصريين القدماء في البحث عن الخالق ومحاولات فهم طبيعته أو بمعنى أصح تصور طبيعته والأسلوب الذي اتبعه في خلق الكون وتنظيم شؤونه. خاصة وأن ذلك كان مرتبطاً بالطبيعة المحيطة وعواملها.. كما يقول عالم المصريات أنور شكري (فالشمس ساطعة دائماً والسماء صافية والنجوم متلألئة ووادي أخضر دائماً تحيط به صحاري تبعث متاهاتها ومجاهلها على الرهبة والخوف لذلك لم يكن عجيباً سلوك المصريين في رحلة البحث عن الخالق طريق الطبيعة وقواها الخارقة التي لم يدرك المصري حينها تفسيرا علمياً لها.

لكن وبعد تعود المصريين القدماء لظواهر الطبيعة الخارقة وإدراك حدود مخاطرها توجه المصري القديم إلى إيجاد آلهة أخرى تركزت في غالبيتها على الحيوانات المفترسة التي لم يكن المصري ليستطيع الاحتكاك بها خوفاً ورعباً كتماسيح النيل والسباع والذئاب والأفاعي الضخمة التي كانت تجوب الصحراء المحيطة... إلا أنه وكما يقول أنور شكري لم تكن هذه المعبودات أو الآلهة مهيأة للتقديس في جميع أنحاء مصر القديمة... فمنهم من بقي على عبادة مظاهر الطبيعة وهم القاطنون في قلب الوادي ومنهم من أخذ يعبد الحيوانات المتوحشة وهم القاطنون على تخوم الصحراء وانطلاقاً من ذلك كانوا يقيمون تماثيل لآلهتهم بجسم إنسان وراس الحيوان المعبود.. لكن بعض تماثيل

الآلهة المكتشفة كانت على شكل الحيوان بشكل كامل. كالإله أنوبيس الذي كان برأس ابن آوى وحورس برأس صقر.. والإله سبك برأس تمساح ولم تكن عبادة الحيوانات المفترسة وقفا على المصريين بل هناك من الآثار المكتشفة ما يدل على أن الأفارقة الذين كانوا يقطنون الوديان كانوا يقدسون الحيوانات.

وبعد أن تمكن الإنسان المصري القديم من ترويض الحيوانات أو اصطيادها وفهمها تحول عن عبادتها إلى تصور خالق آخر جسدوه في واحد من البشر وفي هذه المرحلة قاموا بعبادة الفرعون الذي نصبوه إلهاً رسمياً.. لكن هذا الأمر كان مرتبطاً بتفوق الإنسان المعبود حيث عبد مثلاً أمنحوتب المهندس اللامع الشهير في عهد الملك روسر في الأسرة الثالثة... كذلك أمنحوتب ابن جابو في الأسرة الثامنة عشرة.. لكن إلى جانب هذه الآلهة كانت هناك آلهة أخرى أسطورية كانت تقف دائماً إلى جانب الآلهة البشر كالإله (حو) اله الكلام و(هايل) اله السحر و(آيا) الإله الأكبر الذي كانوا يصفونه بأنه الإله العظيم ـ القوي ـ الطيب ـ العدل، الرحيم.

كذلك لم يترك المصريون الإنسان يعيش سدىً في حياته الدنيوية بل كان هناك ضمن موروثهم تصورات عن يوم الحساب الأخروي منصبين الإله أوزيرس اله الطبيعة كإله للموتى حيث يتولى محكمة الحساب بعد البعث

معتقدين أنه يحاسب الموتى بمساعدة عدد آخر من الآلهة منهم (الآلهة أنوبيس وشوكاريس ومنتافيتش) حيث يتولى حساب الموتى ويأمر بمجازاة الأخيار ومعاقبة الأشرار لتنفذ الآلهة المساعدة أوامره.

ولكي تكتمل الصورة كان لا بد من إيراد إحدى الأساطير المصرية القديمة التي تصور الحساب وجزاء الأخيار ومعاقبة الأشرار حيث تقول الأسطورة «ذات يوم كان الفرعون (يتاح ساتين) مع ابنه المعجزة (سنوزيريس)، شق السكون صوت عويل تختلط به أهازيج موسيقى الموت فإذا مأتم رهيب في طريقه إلى مدافن ممفيس لواحد من الأغنياء يشيع إلى مدفنه الأخير في موكب فخم.. ولم تمض لحظات حتى عبر ميت آخر الطريق ملفوف بقطعة من القماش يشيعه عدد من الأفراد إلى خارج ممفيس دون موسيقى أو احتفال أو موكب فقال الأب متوجها إلى السماء: يا أوزيريس العظيم القدرة أكتب لي دخول دار الأموات في عظمة وجلال كهذا الغني ولا تحرمني شجو الموسيقى وندب النادبين كما حرمت هذا الفقير.. فنظر إليه ابنه وقال: يا أبت إني لأتمنى لك أن تموت ميتة هذا الفقير لا ميتة هذا الغني وأضاف سأطلعك يا أبت على مصير كل منهما وأمسك بيد أبيه وأخذ يتلو تعاويذ غريبة ثم انطلق به إلى جبل ممفيس وهبطا فجوة ضيقة بين الصخر فوجد نفسيهما في قاعة وفيها جماعة مزدحمة من الناس فيها الفقير وفيها الغني.. الوضيع والرفيع.. الجميل والقبيح..

وشاهدا قوماً مولّين ظهورهم حمير تأكل.. ورأى ساتني أن باب القاعة يرتكز على عين رجل يستغيث ويصرخ وكان لا بد لساتني وولده كي يدخلا القاعة أن يطآ الرجل المنطرح تحت الباب وكان هذا جزءاً من العقاب الذي قدر له أن يطأه كل الأموات الذين يجتازون قاعات العذاب إلى مكان السعداء.

ورأى ساتني محكمة الموتى منعقدة برأسها أوزيريس سيد الدار الآخرة متربعاً على عرش من ذهب وإلى جانبه الإله أنوبيس والإله توت وحولهما اثنان وأربعين قاضياً من الآلهة تكتمل بهم هيئة المحكمة. وكان في وسط القاعة ميزان توزن به الحسنات والسيئات، وكان أنوبيس يستجوب الميت فيما يدون توت أجوبته فمن فاقت حسناته سيئاته قادته الآلهة إلى الجنة وأما من رجحت سيئاته فإنه يسلم إلى الآلهة (معات) كلبة سيد الآخرة المفترسة وهي تثير الرعب بفمها الفاغر كالكهف الذي تشتعل فيه النيران ومخالبها الحادة كالسكاكين ورأسها المدبب كتمساح وجسمها البشع كالتنين ولمح الأب رجلاً نبيلاً عليه حلة فاخرة من الكتان يقف إلى جانب أوزيريس فتساءل الأب من هو فأجابه ولده أنه (الفقير الذي رأيته مكفناً بقطعة قماش بالية الذي تمنيت لك يا أبي أن تموت ميتتهَ فبعد أن تعذب كثيراً على الأرض رجحت حسناته عن سيئاته في الآخرة فسعد كثيراً ولكي تتم سعادته خلع أوزيريس كفنه الممزق وألبسه كفن الغني الذي رأيته مشيعاً في حفاوة إلى مقبرة ممفيس وهذا

الغنـي هـو نفسـه الـذي وطئته قدماك عندمـا دخلـت القاعـة وكان محور الباب مرتكزاً في عينه اليمنى يفريها كلما فتح أو أغلق فقد حوكم الغنـي ورجحـت سيئاته عـن حسـناته وحكـم عليه بالعقاب الصارم.

إن كثرة الآلهة لدى المصريين القدمـاء خلقـت تناقضـات جمة وأدخلتهم في متاهـات الضيـاع لذلـك كـان لابد لهـم مـن العودة إلى التوحيد حيث دعا الفرعون أخناتون إلى نبذ تعدد الآلهة والعودة إلى عبادة إله واحد هوَ إلهَ الشمس لكن تحـت اسم جديد هو الإله (آتون) ووجدت هذه الفكرة ارتياحاً لدى النـاس انطلاقاً من حـاجتهم إلـى ديـن واضـح مريـح يقودهـم إلى الحقيقة المطلقـة ويحررهـم مـن التقـاليد الباليـة... ومـن هنـا كـانت العودة إلـى عبـادة الـه الشـمس وأعلـن إلهـاً عامـاً للإمبراطورية المصرية في كافة أنحائها حيث أعلن أخنـاتون أن الـه الشـمس هـو الأكبر والوحيـد وكـرس حياتـه لعقيدتـه الجديدة والدعوة لها وأقام معبداً لأتون بـالقرب مـن منطقـة طيبة وجعل له تراتيل تقرأ عند كل صباح وهي:

بزوغك جليل في أفق السـماء يـا أتون يـا حـي يـا مبـدئ الحياة ..

إذا صعدت في أفق السماء الشرقي أفضت على الأرض جمالك ..

ما ذلك إلا لأنك جميل... عظيم نير في السماوات العليا تسطع على الأرض وعلى جميع مخلوقاتك بأشعتك... أنت بعيد عن الأرض لكنك على اتصال معها بأشعتك.

أنت عال لكن آثارك واضحة في ضوء النهار

أنت خالق الجنين في بطن أمه.. أنت خالق نطفة الإنسان

أنت واهب الحياة للجنين في رحم أمه وملاطفه حتى لا يتكدر فيبكي..

كيف لا وأنت المربي في الرحم

وأنت من يعطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك

أنت فاتح فم الجنين بالكلام ومعطيه حاجاته يوم تلده أمه.

ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها

أنت الإله الأحد لا شريك لك في الملك.

خلقت الأرض بإرادتك..

ولما كنت وحيداً في هذا الكون خلقت الإنسان والحيوان الكبير منها والصغير... والمخلوقات التي تدب في الأرض وتطير بأجنحتها.

أنت مبدع الجمال من نفسك...

فالمدن والبلاد والقرى والطرق والأنهار..

كلها عيون تبصرك أمامها..

كيف لا وأنت أتون النهار فوق الأرض..

كذلك هناك تراتيل أخرى وجدت مكتوبة على جدران المعابد وبعض الألواح التي اكتشفت في معابد مصر القديمة وجميعها موجهة لإله الشمس ومنها :

شروقك جميل يا سيد الأبدية

أنت مشع وجميل وقوي

حبك عظيم وكبير

أشعتك تظهر كل ما خلقت

سطحك يضيء معطياً الحياة للقلوب.

أنت تملأ الأرض بحبك.

أيها الإله المعبود

الذي صنع نفسه بنفسه

الذي صنع كل أرض وخلق ما عليها

ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها

أنت الإله الأحد لا شريك لك.

خلقت الأرض بإرادتك

ولما كنت وحيدا في هذا الكون

خلقت الإنسان والحيوان

والمخلوقات التي تدب في الأرض

أو تطير بأجنحتها

أنت الذي أحللت كل إنسان في موضع

وأنعمت عليه بحاجاته

فصار كل منهم يأخذ نصيبه

ويعيش أيامه المعدودة

لقد خلقت ألسنتهم وأجسامهم وجلودهم

فسبحانك من مميز لخلقك

وانطلاقاً مما سبق لابد أن نستنتج أن المصريين القدماء قاربوا على التوصل إلى الحقيقة.. حقيقة الإله الواحد.. القادر القوي الذي فطر السماوات والأرض وخلق ما عليها وخلق الجنة والنار كثواب وعقاب للناس وقدّر الأرزاق والأعمار.. لكن المتاهة التي كانت تلفهم والطبيعة القاسية المحيطة بهم جعلتهم لا يخرجون عن إطار الطبيعة وعبادة مظاهرها لذلك تمثلت الشمس إلهاً في عقيدتهم التوحيدية التي وضع أسسها الفرعون أخناتون الذي تخلى عن اسمه القديم (أمنحوتب الرابع) وتسمى بأخناتون.

الآلهة عند البابليين:

لقد تصور سكان ما بين النهرين وخاصة البابليون منهم بداية للخالق حيث اعتقدوا بأنه لم يكن في هذا الوجود سوى محيط أزلي ومياه مالحة فلا سماء ولا أرض ولا آلهة ولا بشر.. لا شيء سوى الفضاء والمياه المالحة الممتدة إلى ما لا نهاية.. وتعاقبت الأزمان حتى جاء وقت اختلط فيها الماء بالفضاء فخرجت أشياء أخذت تنمو وترتفع إلى أعلى فكانت آلهة النور.. مما جعل المياه المالحة تضطرب وتغضب وتقرر مواجهة الآلهة وخاصة الإله (آي) والإله أنصار.. واجتمع الآلهة للتباحث في هذا الأمر وكان بينهم الإله (مردك) الذي قرر التصدي إلى تيامات آلهة المياه المالحة شرط أن يقر له الجميع عند انتصاره أنه الأقوى.

وتوجه الإله مردك لمصارعة تيامات متسلحاً بالرعد والشبكة الكبيرة التي سيصطاد بها الوحش كنجو الذي كان ينفذ أوامر تيامات.. وعندما بلغ مملكة تيامات فإذا وحش مهول على شكل تنين مخيف يحاول النهوض من استلقائه ومن عينيه ينطلق بريق مخيف ومن منخريه يندلع لظا اللهب، وفتح الوحش فمه فإذا به كجهنم النار تغلي فيه.

وتوقف مردك صائحاً يخاطب تيامات أن تكف عن القتال.. لكنها رفضت وسلطت عليه تعاويذ سحرها.. فألقى عليها شبكته فأمسكتها وجذبها إليه وقرأ عليها التعاويذ

فبدأ بطنها ينتفخ فرفع مردك رمحه وطعن البطن المنتفخ فأحدث انفجاره دويا كالرعد وسقطت تيامات ميتة. عندها قطع مردك قلبها وألقاه في الفضاء الأسود ثم شق جسدها إلى جزأين مستطيلين رفع أحدهما فكان السماء وخفض الآخر فكان الأرض. ثم نثر على صفحتها الكواكب ثم خلق الإنسان من تراب معجون بدمه.

أما الأكاديون فكانوا لا يختلفون عن البابليين في بحثهم عن الخالق فقد اعتقدوا أن الكون في البداية كان مؤلفاً من عنصر واحد هو الماء فيكون من قسمين المياه المالحة (تيامات) والمياه العذبة (أبسو) ومن تزاوجها انبثقت الخليقة الآلهة والبشر.

أيها الرب... تطلع إلي وتقبل تنهداتي

أيها الإله المعروف... وغير المعروف

الا ليفتئ غضبك..

البشر معوجون... وليس لدى واحد منهم

بين الجميع من يعرف شيئاً

مهما فعلوا من شر أو خير... ليس لدى واحد معرفة

أيها الرب... لا تطرح خادمك جانباً

انه ينكفئ في الحمأة فخذ بيده

حول ما ارتكبت من آثام إلى نعمة

لتحمل الريح بعيداً ما ارتكبت من تعديات

جناياتي كثيرة.. مزقها كما يمزق الثوب

أي الهي... آثامي سبعة فاغفر لي خطاياي

اغفر خطاياي وسأتواضع أمامك.

ليهدأ قلبك كقلب أم رزقت بطفل

وقلب أب رزق بمولود.

مزمور بابلي

تصور الهندوس للآلهة:

لا شك بأن الهند تعتبر أرض الأديان والعقائد المختلفة والمتناقضة حيناً والمتوافقة أحياناً فجميعها تحتوي تفاصيل من البرهمية ما عدا الأديان السماوية [اليهودية والمسيحية والإسلام] التي ظلت مختلفة عن الهندوسية لكن العقائد الأخرى كالبوذية والجانتية والسيخية والبرهمية وعبدة الأشجار والأنهار والأرواح وأتباع زرادشت.. جاءت جميعها خليطاً من أديان وأشعار وتعاليم وضعها مؤسسوها ثم جمعت في كتب أصبحت فيما بعد الكتب المقدسة لكل دين من هذه الأديان.

ولكن العقيدة الواضحة هي عقيدة الهندوس حيث يزيد عدد أتباعها عن ٢٥٠ مليوناً لا زالوا يدينون بعقيدتهم البرهمية القديمة بأشكالها ومذاهبها المتعددة ولا زالوا حتى يومنا هذا يؤمنون بقدسية الطوائف.. وبعد أن كانون في الماضي يؤمنون بأن عدد هذه الطوائف أربعة أصبح عددها الآن ١٩ ألف طبقة أما الآلهة فبعد أن كانوا في الماضي يعبدون ٣٣ إلهاً فقط هي رموز الطبيعة أصبح لديهم عدة مئات من الآلهة حتى أن البعض منهم لا زال حتى الآن يؤمن بعبادة الثعابين، كما أن بعضهم يؤمن بآلهة وأصنام متعددة الرؤوس ومتعددة الأقدام والأيدي ومعبودات أخرى لها رأس فيل أو نسر كما أن هناك الكثير الذين يعبدون الأبقار والثيران كما يعبدون القردة.

ولا شك بأن الهند قد شهدت الكثير من التطوير خلال العقود العشرة الماضية حيث كان المهاتما غاندي من أبرز المعلمين الذين أثروا في الثقافة والعقيدة الهندوسية حيث

كان يؤمن بأنه لكي تحصل على حقك يجب أن تلجأ إلى الوسائل السلمية وأن تبتعد عن العنف وقد خرج من ذلك بتعاليمه الجديدة التي أصبحت ترضي الغالبية العظمى من الهنود وتلائم جميع الاتجاهات الدينية والثقافية لأنها تقوم على المفهوم الإنساني واحترام حقوق الإنسان.

ولم يقدم الهندوس تصوراً واضحاً حول نشأة الآلهة.. كما تصورتها العقائد القديمة.. إنما قدموا تصوراً حول بداية الخلق جازمين بأن الإله براهما موجود قبل الخلق من اللانهاية.. فقد ورد في إحدى الأساطير الهندوسية قول لبراهما: «أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض وأرفع من كل هذه الأجرام والكواكب حولي.. أنا أغلى من جميع هذه الأشياء أنا الكل في الكل.. افعل ما أريد.. وأخلق كل ما يخطر لي.. أنا جوهر هذا ا لعالم الواحد الشامل.. لست بالذكر ولا بالأنثى.. إنما أنا روح غير مشخص في صفاته احتوى كل شيء وأكمن في كل شيء لا تدركني الحواس لأني أنا حقيقة الحقيقة.. أنا... براهما ».

ولعله من المفيد إيراد بعض الأفكار حول المعتقدات الهندوسية التي تناولت قصة الخلق.. وتقول أن براهما لم يكن سعيداً بوحدته وبأطراف أنامله صنع براهما شيئاً هائلاً كبيراً الحجم ليكاد يمدل جسمه عملاقاً وعملاقة تعانقا ونفخ الخلاق في الجسد العملاق فإذا به ينشق نصفين نصفاً لرجل ونصفاً لامرأة.. وعلى سطح الأرض نشأ في العالم أول زوج وأول زوجة.. واجتمع الزوجان فكان أول نسلهما البشر...

وأطلت المرأة إلى رجلها كان فيه شيء لم تفهمه وسر لم تدر كنهه وفي الأعماق منها تساءلت كيف استطاع ذلك العملاق أن يخرجني من نفسه ثم يخرج مني كل هذه

الكائنات إنه لشيء رهيب خارق شيء يجعلني أبتعد عنه وأختفي عن ناظريه.. واختفت الزوجة في صورة بقرة فانقلب الزوج ثوراً وضاجعها فتولدت الماشية.. ثم اختفت في هيئة فرس فانقلب جواداً وزاوجها فولدت الأحصنة.. وهكذا أخذت الزوجة بالتقلب في شتى أشكال الحيوانات.. وأخذ هو بمتابعتها حتى امتلأت الأرض بالبشر والحيوان..

وقد تصور الهندوس أن البراهما له شكل إنسان إلا أنه يتميز بكثرة أعضائه الجسدية من أيدي وأرجل وعيون ورؤوس وأعضاء تناسلية وذلك كدليل على قدرته الخارقة في العلم والنشاط والقوة.. وتمكنه من السيطرة على عالم البشر.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الهندوس قد عبدوا قبل البراهما آلهة كثيرة لأرواح تسكن الصخور والحيوان والأشجار والماء والجبال والنجوم كما وقدسوا الثعابين والأفاعي... وعبدوا السماء والشمس والأرض والنار والضوء والريح والجنس.. وكل هذه الأعداد من الآلهة ابتدعها خيال الهندوس معتمداً على العناصر الطبيعية فجعل السماء أباً وسماه (فارونا) والأرض أماً وسماها (برينيغي). ومع الزمن بدأت العبادة الطوطمية حيث تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص وراحوا يعبدونهم.. وهنا بدأت التناقضات من رحم السؤال (أي من هذه الآلهة خلق العالم؟) فقال البعض أنه اله النار وقال آخرون أنه (اندرا) اله العاصفة...

بينما قال قسم منهم إنه (براجياباتي) اله الشمس وخالق كل شيء ورب كل الأحياء إنه الإله الواحد الذي أصبح مع الزمن براهما نفسه. لكنه ليس لوحدة فقد أصبح لديهم ثلاثي الهي مقدس يسيطر على الكون الأول براهما الخالق والثاني فشنو الحافظ والثالث شيفا المدمر.

أما براهما فهو سيد جميع الآلهة رغم أنه مهمل في شعائر العبادة الفعلية وفشنو هو اله الحب الذي يساعد البشر.. وشيفا هو اله التدمير والتخريب الذي يسعى دائماً إلى خراب البشرية ولذلك يعبده الهندوك اتقاء لشره ولعل هذه الفكرة تلتقي تماماً مع عبدة الشيطان الذين يعبدونه اتقاء لشره.

كذلك ألّه الهندوس الحيوانات كالفيل الذي يعتقدون أن فيه تتجسد الطبيعة الحيوانية للإنسان.. والقردة والأفاعي التي تعتبر مصادر رعب وترمز لطبيعة الآلهة ولعل أخطر هذه الأفاعي التي تعتبر مصادر رعب وترمز لطبيعة الآلهة ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تسمى (ناحيا) حيث تتمتع بمنزلة خاصة لأن لدغة واحدة منها تؤدي إلى الموت مباشرة.. ولهذا فهم يقيمون لها حتى يومنا هذا حفلاً دينياً سنوياً تقدم لها فيه هي وزملائها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز توضع عند مداخل جحورها.

وتعتبر مدينة ميسسور أكبر مراكز عبادة الأفاعي في الهند حيث أقيم لها معابد خاصة تسكنها أعداد هائلة من الأفاعي يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها.

ولا يقتصر الهندوس في تقديس وعبادة الحيوانات على الأفاعي بل يقدسون كذلك التماسيح والنمور والببغاوات والفئران والبقر... وتبقى البقرة أكثر الحيوانات قدسية لدى الهندوس حيث أقاموا لها تماثيل في جميع معابدهم ومنازلهم وتتمتع البقرة بحرية مطلقة ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها: وأن يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات وإذا ماتت وجب دفنها بجلال وضمن طقوس دينية معينة.

وينطلق الهندوس في عبادة الحيوانات من كونها جميعاً أرواح تمضي متنقلة بين الإنسان والحيوان ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها. حيث تقول الأسطورة الهندوسية أن براهما خلق من رأسه أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة ومن ذراعه خلق من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون ومن فخذيه جاء أرباب المهن ومن قدميه خلق بقية الناس الذين ينتمون إلى الطبقة السفلى.. وهناك فوارق واضحة لا يجوز تجاوزها لأبناء هذه الطبقات في الحياة الدنيا.. أما عن كيفية اجتيازها فيما بعد فهي نسبية فإن كان أحد أفراد الطبقة السفلى صالحاً ومات تقمص في حياته الثانية جسد شخص من الطبقة الأعلى وهكذا إلى أن يصل إلى مرتبة النرفانا وهي المرتبة التي يندمج فيها الإنسان مع الآلهة.. أما إذا كان طالحاً فإنه يتقمص جسد شخص من الطبقة الأسفل وإذا بقي سيئاً فإنه يتقمص جسد حيوان.

ويؤمن الهندوس بنظرية التناسخ فالروح خسب العقيدة الهندوسية تتقمص العديد من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حتى تصل إلى هدفها النهائي وتنطبق نظرية التناسخ على جميع الكائنات سواء كانوا حيوانات أم لا..

تتعلق بي

كما تتعلق مجموعة من الخرزات بخيط

أنا من الماء طعمه العذب

وأنا من القمر فضته ومن الشمس ذهبها

أنا موضع العبادة في الفيدا

والهزة التي تشق أجواز الأثير

والقوة التي تكمن في نطفة الرجل

أنا الرائحة الطيبة الحلوة

التي تعبق من الأرض المبتلة

وأنا من النار وهجها الأحمر

وأنا الهواء باعث الحياة

أنا القدسية فيما هو مقدس من الأرواح

أنا حكمة الحكيم وذكاء العليم وعظمة العظيم وفخامة الفخيم

إن من يرى الأشياء رؤية الحكيم

يرى أن براهما المقدس

والبقرة والفيل.. والكلب النجس

والمنبوذ وهو يلتهم لحم الكلب

كلها كائن واحد..

من التراتيل الهندوسية

مذهب الجوع المقدس:

ماهافيرا أي البطل العظيم.. وهو ابن الملك سرياما والملكة تريسالا ملكا مملكة منيسالي في الهند واللذين ماتا نتيجة لقرارهما بعدم تناول الطعام حتى الموت الذي يسمى بالعقيدة الهندوسية الموت الصامت المقدس ولم يحزن عليهما الناس لاعتقادهما أنه الموت الأمثل والمفضل لبني البشر. إلا أن ماهافيرا والذي كان يسمى فيرادامانا قبل أن يطلق عليه ماهافيرا أي البطل العظيم بعد أن تمكن من الإمساك بفيل هائج وإعادته إلى الحظيرة الملكية.. فقد أقسم عند وفاة والديه أن يهمل جسده لإثني عشر عاماً متتالية ليعاني المصائب التي تنزلها به قوى السماء أو البشر أو الحيوان..

وانطلق ماهافيرا صامتاً حيث أقسم على عدم الكلام.. انطلق يخترق المدن والقرى في يده وعاء يمده للرحماء من الناس ليضعوا فيه بعض الطعام.. وأخذ وحيداً يجلس لساعات طوال يفكر في تعاليم العقيدة الهندوسية.

وخلال الأعوام الإثني عشر لم ينطق ماهافيرا كلمة واحدة.. لكنه ظل يفكر طوال تلك السنوات ويطيل التفكير في عقيدة البراهمة وذات يوم التقى ماهافيرا براع يرعى غنمه في الوادي الفسيح خارج إحدى القرى فقال الراعي إذا رعيت غنمي حتى أذهب إلى القرية وأعود ببعض الطعام

فإني سأعطيك بعضه لتأكله.. وأومأ ماهافيرا برأسه موافقاً ومضى الراعي.. ولم تمض لحظات حتى تسلل ذئب من الغابة وقبل أن ينتبه إليه الراهب كان الذئب قد اختطف حملاً ومضى به مسرعاً وعندما عاد الراعي ووجد أن أحد حملانه قد اختفى جن جنونه وراح يطلب من ماهافيرا تفسيراً لما حدث ولكن ماهافيرا ظل صامتاً وصاح الراعي.. ألا تريد أن تقول لي ماذا حدث لحملي؟... ألا تتكلم أيها اللص؟ وأخذ عصاه وإنهال بها على رأسه... ولم يشأ ماهافيرا أن ينتهك قسمه على الصمت وكان أقوى بنياناً من الراعي حتى ليستطيع أن يدافع عن نفسه ويكيل له الضربات ولكنه أقسم ألا يحمي نفسه من أي شر أو عدوان يحل به.

واستمرأ الراعي سكوت الراهب ماهافيرا حتى بدأ الدم ينزف من كل مكان من جسده.. عندئذ توقف الراعي فجأة عن الضرب ونظر إلى الراهب الدامي نظرة ملؤها الخوف والرهبة وقال بصوت مرتعش (إنك أول رجل ألقاه يأبى أن يحمي نفسه أو يهرب لابد أنك رجل مقدس.. ولم يجب ماهافيرا بل نهض وانطلق لشأنه لكن الراعي تبعه يلتمس المغفرة وأومأ ماهافيرا برأسه دلالة الصفح ثم مضى.. وقال ماهافيرا في نفسه (لقد علمني هذا الحادث درساً عظيماً هو أن التواضع خير من الكبرياء والسلام أقوى من الغضب).

ومضت السنوات وانتهت أعوام صوم ماهافيرا ولم يعد إلى قصره بل قرر أن يبقى راهبا يجوب البلاد لينشر آراءه وكانت بعض هذه الآراء جديدة فأصبح كثير من الناس أتباعاً له وراحوا يمضون خلفه وينظمون نساء ورجال في الرهبنة.

ومن آراء ماهافيرا أن (حياة الإنسان كلها عناء.. فالبلاء عناء والمرض عناء والموت عناء والسعي إلى ما يريد منه المرء عناء.. وأن هذا العناء يأتي من الرغبة.. وطريق التخلص من هذا العناء هو التخلي عن جميع الرغبات وعندها يصل الإنسان إلى النيرفانا وهي السعادة الروحية.

وسنّ ماهافيرا وصاياه الخمس التي تقول:

- لا تقتل أي كائن حي أو تؤذه بالكلام أو التفكير أو العمل
- لا تسرق
- لا تكذب
- لا تحيى حياة الفجور أو تخدر نفسك
- لا ترغب في شيء على الإطلاق.

وماهافيرا مثل بوذا لا يؤمن بالطوائف أو الأصنام أو الآلهة الهندية كلها ويؤمن بأن الصلاة لا قيمة لها ولا تفيد أحداً قط.. وسأله الناس إذا لم تكن تؤمن بقدسية الطوائف

وإذا لم تؤمن بأن براهما خلق العالم وبأن عبادة الأصنام أو تقديم القرابين للآلهة والصلاة لها يمكن أن تفيد الإنسان فأين إذن يمكن للمرء أن ينشد الغفران عن آثامه حتى يمكن أن يدخل النيرفانا. أجاب (لا بالصلاة، ولا بالقرابين، ولا بعبادة الأصنام، يمكن أن تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النيرفانا في داخل نفوسكم الخلاص وعندما رقد ماهافيرا على فراش الموت اجتمع حوله كل ملوك العالم وحكامه وراح ماهافيرا طوال أيام ستة يتحدث إلى الملوك والحكام ويلقي فيه عظاته واستمر على ذلك الحال حتى كانت الليلة السابقة لاحتضاره حيث غشي النوم كل من في القاعة فأسلم ماهافيرا روحه لبارئها واختفى حسب الأسطورة.

بعد ذلك راح أتباعه يجمعون وصاياه وتعاليمه في كتب سميت (أجاماس) ومعناها الوصايا وأصبحت هي الكتب المقدسة عند جميع الأتباع، وتحتوي على سبعة مبادئ رئيسة:

الأول: أخذ العهود والمواثيق على اعتباره ذو أثر بالغ في اقتلاع الأخلاق السيئة والتمسك بالزهد والتقى.

الثاني: المحافظة على الورع وتجنب الأذى والضرر لأي كائن مهما كان صغيراً.

الثالث: التقليل من الحركات البدنية والتأمل في الأمور الدينية والابتعاد عن الأمور الدنيوية وسفاسف الحياة وتوافهها.

الرابع: التحلي بعشر خصال وهي أمهات الفضائل وهي العفو والصدق والاستقامة والتواضع والنظافة وضبط النفس والتقشف الظاهري والباطني والزهد والإيثار واعتزال النساء.

الخامس: التأمل في حقائق الكون والنفس الأساسية.

السادس: عدم الاهتمام بمتاعب الحياة.

السابع: القناعة والطمأنينة والخلق الحسن.

وإذا التزم (الجيني) وهي تسمية تابع ماهافيرا بهذه المبادئ بدقة وصرامة لمدة إثني عشر عاماً سمح له بنعمة الانتماء المقدس والاستمتاع بسعادة الموت جوعاً على اعتباره انتصار الروح على الحياة والابتعاد عن الأعمال الشائنة.

وكذلك تقدس الجانية أو شريعة ماهافيرا الحيوانات وعلى رأسها البقر التي يخصصون لها أماكن خاصة للعبادة... ولهم حوالي ٤٠ ألف معبد متوزعة حالياً في جميع أنحاء الهند ويبلغ عدد أتباع هذه الشريعة حوالي ١٥ مليون نسمة وعندما يذهب الجنين إلى أحد المعابد فإنه يدعو بالسلام والابتهاج لجميع المخلوقات قبل أن يطلب أي فضل

لنفسه وليس ما يطلبه لنفسه الثراء أو المجد بل النيرفانا وأحد أهم التراتيل التي يتلونها في معابدهم هي:

إلى السيد جيناندرا شري شانتي

المعبود من جميع العالم

وأهب السلام والبهجة

أحني رأسي المتواضع

رأسي المنير

لكي يمنح السلام الدائم

لجميع الكائنات على الأرض

وكل ما أتمناه أن أحصل بفضله

على أسمى هبة في هذا العالم..

وهي..

النيرفانا المقدسة

آمين...

ومن التراتيل الأخرى التي يترنم بها أصحاب هذا المذهب ما يلي:

في داخل نفوسكم الخلاص

فليس بالصلة ولا بالقرابين

ولا بعبادة الأصنام والأوثان

يمكن للمرء أن يجد الغفران

أو يصل إلى طريق الحياة الصالحة

وليكن بالعمل الطيب

يمكن أن تبلغ النيرفانا

لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاما

ولا تصد براً أو بحراً

ولا تقتل أدنى المخلوقات في أي وقت

ولا تقتل البعوضة التي تعضك

ولا النملة التي تلمسك

لا تذهب إلى الحرب

ولا تقاتل من يهاجمك

ولا تدس دودة على الطريق

فحتى الدودة لها روح.

(ماهافيرا)

مذهب السيخ:

وعقيدة السيخ بدأت مع شخص يسمى كبير وقع في حيرة كبرى بين تعدد الآلهة الذي يؤمن به الهندوس.. إلاّ أنه استقر على التوحيد وعبادة إله واحد قدير ومسيطر لكنه لاقى رفضاً شديداً في صفوف الهندوس بحجة أنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم يعبدون عدة آلهة فكيف يتصور وجود إله واحد فحسب؟

وقال كبير أو كما كان يسمى فيرو.. «إنه طالما يجهل الناس المعرفة الحقة لإله واحد فهم يجدون أنفسهم مرغمين على عبادة عدة آلهة صغيرة فإذا كنتم تعبدون آلهة مصنوعة من الحجارة فالحجارة جاءت من الجبل لذا فمن الأفضل أن يعبدوا الجبل..

وفيما بعد أصبح لكبير عدد كبير من الأتباع والمريدين وذاع صيت كبير وانتشرت تعاليمه التي نظمها شعراً وحملها عقيدته كاملة والتي يأتي على رأسها الحث على العمل وخاصة بالنسبة للكهنة الذي كانوا يتسولون طعامهم من الرحماء.

وبعد وفاة كبير تحمل مسؤولية نشر التعاليم الجديدة الكاهن ناناك إلاّ أنه ناقض كبير في العديد من التعاليم وأعلن نفسه غورو أي إمام..

وانطلق ناناك مع تابعه موردانا يتجول في أنحاء الهند لنشر تعاليمه.. إلا أن ناناك أخذ الغالبية العظمى من تعاليمه من الإسلام.. ومات في السبعين ليخلفه إمام العقيدة انجاد الذي اصبح الغورو الثاني.

وقد جمع الغورو الخامس واسمه أرجان أقوال ناناك وعظاته وأشعاره في كتاب اسماه (صاحب المواهب) وأصبح الكتاب المقدس لأتباع ناناك الذين سموا أنفسهم بالسيخ أي المريدين. وراحت الزعامة تنتقل من واحد إلى آخر حتى تولاها كروكبند وسيخ الذي اهتم بتدريب أتباعه عسكرياً حيث مكث بهم لمدة عشرين عاماً في جبال الهيملايا ليتعودوا حياة الخشونة والحروب ثم نزل بهم إلى البنجاب لتدور بينه وبين حاكمها المسلم حروب طويلة لاثنتي عشر سنة هلك فيها الآلاف من أتباعه.. ولا يزال السيخ حتى الآن ويبلغ عددهم عشرة ملايين فخورين بتاريخهم كمقاتلين ومن السهل تمييزهم عن الهندوس بخمسة أشياء يعتبرونها من أساسيات عقيدتهم وهي:

- إطلاق الشعر وعدم قصه
- المشط الخشبي الكبير المغروس في الشعر
- السوار المعدني الخفيف حول المعصم
- الخنجر القصير ذو الحدين
- السراويل البيضاء القصيرة تحت الملابس

وتروي العقائد السيخية أن مؤسس هذا المذهب كان يوماً يرتل في معبد شيفا الهندوكي عندما رأى فأراً على رأس الإله شيفا يقرض الأرز فتساءل إذا كان شيفا حقاً إله أليس بقدرته حتى أن يطرد فأراً عن رأسه.. ومن هنا فقد أثبت الفأر الصغير له أن شيفا لم يكن أكثر من حجر لا قدرة له على أي عمل على الإطلاق... وعندها قال لن أعبد هذه الأصنام أبداً بعد الآن وأخذ يدرس الديانات الأخرى بحثاً عن حقيقة الخالق.. وبعد دراسة معمقة لغالبية الأديان الموجودة وخاصة السماوية منها اقتنع بأنه لا يوجد في هذا الكون سوى إله واحد وهو القادر المسيطر.. لكنه ظل يعتقد أيضاً ببعض تفاصيل الهندوسية كالنيرفانا.

عزلة الكلب وتأمل الكركي

ترتيل الحمار.. واستحمام الضفدعة

كيف تكون أحسن حالاً

إذا لطخت جسمك بالرماد

عليك أن تركز فكرك في الله وحده

أما عن بقية ما نصنعه

فالحمار يستطيع التمرغ في الوحل كما تفعل

أيمكن لتلطيخ الجسم بالرماد الأبيض

أن يذهب برائحة وعاء الخمر؟

أيمكن لحبل تلفه حول عنقك

أن يجعل منك إنساناً جديداً؟

لماذا نرى واجباً علينا

أن نسيء إلى طبقة المنبوذين

أليس المنبوذ مثلنا في لحمه ودمه؟

ومن أي طبقة عسى أن يكون الإله

الذي يحمل جسد المنبوذ؟

إن من يقول إني لا أعلم شيئاً

هو أبلغ الناس وأكثرهم حكمة.

من تراتيل السيو

اتباع كونفوشيوس والآلهة:

يعتقد الصينيون أنه قبل خلق العالم لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق. ثم ظهر شيء، ومن هذا الشيء خلق (بانكو).. بانكو الإله الذي كان قويا جدا وله رأس تنين وجسد أفعى.. وهو الذي خلق الكون بحوالي ٢,٢٢٩ ألف عام قبل الميلاد.

وتذكر الأساطير الصينية أن بانكو ظل يعمل حوالي ١٨ ألف عام حتى تمكن من خلق العالم وعندما مات تجمعت أنفاسه لتصبح ريحا وسحبا، أما أنينه أثناء الاحتضار فأصبح الرعد وأصبح دمه أنهارا وعرقه أمطارا وتحولت عظامه إلى الصخور وأسنانه إلى المعادن وشعره إلى الغابات والأشجار ولحمه إلى الأرض ورأسه إلى الجبال.

كذلك أصبحت عينه اليسرى الشمس وعينه اليمنى القمر.. أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت بني الإنسان.

وهكذا وجد الخيال الصيني والأساطير الصينية الإله الخالق الخاص بهم.. أما الآلهة الآخرين الذين حكموا الكون بعد فانكو فتقول الأساطير أنه تعاقب على الحكم آلهة حكم كل واحد منهم أكثر من مائة عام ومن أهمهم الإله (فوشي) الذي حكم حوالي عام ٢٨٣٨ ق.م.. وتؤكد بعض الأساطير

الصينية أن فوشي هذا هو خالق البشر.. وقد خلقهم من القمل الذي كان يعلق بجسد الخالق الأول (بانكو).. وكانت لفوشي أخت تسمى (فوكواشي) لها جسم ثعبان ورأس آدمي وتعتبرها الأساطير الصينية منقذة لهذا العالم لأنها أنقذته من غضب إله العقاب.

وقبل أن يتوصل الخيال الصيني إلى الأساطير السالفة الذكر كان الصينيون كأغلب الشعوب القديمة يعبدون الظواهر الطبيعية وذلك بسبب جهلهم بها وخوفهم من خوارقها.. كذلك كانوا يعبدون الأرواح... وكانوا يعتبرون أن الظواهر الطبيعية تمتلك أرواحاً مثل البشر والحيوان تماماً إلا أن أرواحهم أقوى من أرواح البشر لذلك عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال وآمنوا بأن لكل من هذه المعبودات روحاً يجب أن تعبد..

وقد أصبحت أعظم الأعياد الصينية هي أعياد النماء حيث يحتفل الشبان والفتيات بأيام الربيع فيرقصون ويغنون ويشربون ثم يتضاجعون في الحقول ليضربوا المثل لأمهم الأرض في الإخصاب والإنتاج.

ولم يكتف الصينيون بالعبادات السابقة بل عبدوا أرواح أسلافهم فإذا مات رجل عبد أبناؤه روحه كما عبده أحفاده وحتى أبناء أحفاده عليهم أن يعبدوا ذكراه.. كذلك عبدوا أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين وبصفة خاصة أباطرتهم الذين كانوا يعتبرون مقدسين..

كونفوشيوس:

لقد كانت عبادة روح كونفوشيوس امتداداً لعبادة الأرواح في الصين وخاصة أرواح الحكماء.. فقد كان كونفوشيوس أكبر الحكماء وأعظم القديسين في نظر الصينيين. وكان ذلك قبل الميلاد بحوالي ٥٠٠ عام في إقليم لو بمنطقة تشو على مقربة من نهر هوا نجهوا.. وكانت الإمبراطورية الصينية حينها مقسمة إلى ولايات صغيرة يحكمها أمراء أو أشراف لا يرعون إلاّ مصالحهم الخاصة.

وقد ولد كونفوشيوس لزوجة أبيه الأخيرة بعد أن أنجبت له الزوجات الأخريات الإناث فقط وعندما بلغ (تشيمو) وهكذا كان اسمه قبل أن يسمى كونفوشيوس.. عندما بلغ الثالثة من عمره توفي أبوه وعاش تشيمو يتيماً بجوار البحر الأصفر المقدس.. وبالرغم من أن أبوه شوليانج كان حاكماً لإقليم تشو إلاّ أنه مات فقيرا وترك زوجاته وأولاده لفقر مدقع ومع ذلك استطاعت الأرملة الصغيرة (تشينج تساي) أن تدبر أمر تعليم ابنها الوحيد تعليماً طيباً وعندما أثنى معلموه عليه كانت السعادة تغمرها.

واستمر تشيمو كونغ يواصل دراسته ويواصل معها نموه العقلي وحكمته التي راحت تتزايد وشهرته التي طارت في أنحاء الإقليم الذي يعيش فيه حتى بدأ الناس يتوافدون من كل مكان ليتبادلوا معه الحديث وينصتوا إلى ما يقول.

وعندما بلغ تشيمو كونغ التاسعة عشرة من عمره تزوج وأنشأ بيتاً في ذات الوقت الذي حصل فيه على وظيفة أمين مخازن الحبوب ثم رقي إلى درجة المشرف العام على

الحقول.. ورغم كثرة مشاغل العمل الجديد شغل الشاب نفسه في أوقات فراغه بدراسة الموسيقى والتاريخ والشعر بعدها قرر العمل بالتعليم وبالفعل فقد فتح بيته أمام مريديه وتلامذته الذين بدأوا يطلقون عليه اسم كونغ فوتشتي أي كونغ الفيلسوف ومن هنا بدأ تحريف الاسم ليطلق عليه الناس بعد ذلك كونفوشيوس.

وعندما بلغ الثالثة والعشرين من عمره ماتت أمه مما أحدث تطوراً كبيراً في حياته حيث أدى به حزنه على أمه إلى إهمال زوجته ومن ثم تطليقها للتفرغ إلى التعليم حيث بدأ يجوب البلدان ليعلم أهلها فانتشرت شهرته مما جعل الناس يقصدونه في بيته من الأقاليم البعيدة حيث أخذت أعداد التلاميذ تنمو وتزداد يوماً بعد يوم بحيث اصبحوا أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ ومريد عندما بلغ الرابعة والعشرين.

وعندما بلغ كونفوشيوس الثانية والخمسين من العمر كان قد قام بدور كبير جداً في تعليم أبناء الصين. وما يسجل له أنه كان دائماً يلفت النظر إلى أنه لا يقوم بذلك كواحد من الأنبياء أو القديسين بل كان حكيماً اطلع على كتب الأولين واستخلص منها ما يفيد الناس فبسطه وقدمه للناس.

إلا أن أسلوب تعليم كونفوشيوس الذي كان يماثل أسلوب سقراط شفهياً جعل بعض تلاميذه ومريديه يلازمونه ويكتبون وراءه ومن هنا كانت الحوادث التي تصادفهم عرضاً في الطريق هي التي توحي بموضوع الحديث.

ولا بد في هذا الصدد من إيراد مثال على ما سبق، ففي أحد الأيام التقى كونفوشيوس في طريقه بامرأة تصرخ وتستغيث فلما سألها عن سبب بكائها وعويلها في هذه الصحراء فقالت إن نمراً مفترساً قتل والد زوجي في هذا المكان كما افترس نفس النمر زوجي ثم تبعه بولدي الصغير.. وسألها كونفوشيوس لماذا تبقين في هذا المكان القفر بما فيه من نمور فأجابت لأنه لا يوجد هنا حاكم ظالم. وعندما سمع كونفوشيوس تلك الإجابة استدار نحو تلاميذه وقال لهم: (اكتبوا عندكم أيها التلاميذ كان الحاكم الظالم أخطر على الناس من النمر المفترس).

وما يلاحظ أن كونفوشيوس سعى إلى استبعاد الموضوعات المتصلة بتمجيد البطولة والقوة الجسمانية والثورات وخوارق الطبيعة كما كان يتحاشى التدخل في مناقشات تتصل بالكائنات غير المنظورة وكان شديد العطف على الحيوان. وكان يؤكد على عدالة السماء دون التطرق أو التحدث عن الله كما كان يرفض الرد على أسئلة تتعلق بالإله أو السماء أو الحياة الأخرى. وقد سُئلَ يوماً إن كان يظن أن هناك حياة أخرى بعد الموت فأجاب إذا كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة فكيف نعرف شيئاً عن الموت وما بعد الموت؟.. وكان يركز في نقاشاته على العلاقات الإنسانية والاجتماعية مفضلاً النواحي العاطفية فيها فكما يقول (كان القلب الذي يعمر بالحب لا يخطئ)...

وفي عام ٤٧٨ قبل الميلاد توفي كونفوشيوس عن عمر يناهز السبعين عاماً بذلها في التعليم وتأليف الكتب ومن هنا بدأ رحلة أخرى اختلفت عن رحلته أثناء حياته حيث أخذ الصينيون يحتفلون بذكراه سنوياً وأعلن أتباعه وتلاميذه الحداد عليه ثلاثة أعوام كاملة.

وبالرغم من أن كونفوشيوس ذاته لم يكن ليعتبر تعاليمه أكثر من نهج خلقي أو أسلوب من أساليب الحياة إلاّ أن تعاليمه انتشرت بعد وفاته انتشاراً كبيراً لتصبح أساساً لدين جديد اعتبر خليطاً من تعاليم الديانات الصينية القديمة مع اختلاف تحديد اله معين كما كانت تفعل الديانات السابقة كما أنه لم يطرح نفسه نبياً أو إلهاً.. لكن الأجيال اللاحقة ممن اتبع منهجه صنعت له تماثيل وجعلتها في معابد خاصة ليعبدها الناس بعد ذلك تماماً كما حصل مع بوذا.

ففي عام ٧٢ ميلادية أمرت أسرة هات الإمبراطورية في الصين ببناء معبد على قبر كونفوشيوس وبعد ذلك بمائتي عام أي في عام ٢٧٢م صدر مرسوم بوجوب تقديم القرابين العظيمة لكونفوشيوس أربع مرات سنوياً. وفي عام ٥٥٥ صدر مرسوم يقضي بإقامة معبد لكونفوشيوس في جميع المدن الكبرى من كل ولاية من الولايات الصينية.

/ وفي عام ٦٦٥ م خلع على كونفوشيوس لقب أنبل الأساتذة.. وفي عام ٧٣٩م لقب بالملك ثم بأقدس القديسين في عام ١٠١٣م. وعندما جاء أباطرة عائلة ما تشو كانوا ينحنون أمام تمثاله إجلالاً واحتراماً ثم أطلقوا عليه عام ١٦٥٧ لقب أحكم الأساتذة الأقدمين.. لكن منذ صدور قرار بناء المعبد على كونفوشيوس عام ٧٢ وبعده بناء معابد له في جميع الولايات الصينية أخذ الصينيون يقدمون طقوس

تعبدية في هذه المعابد مما حدا بالناس إلى تأليهه دون التصريح بذلك كما حدث مع بوذا.

وفي ذات الحقبة التي كان يعيش فيها كونفوشيوس كان هناك حكيم آخر يكبره بعدة سنوات اسمه لاوتسي وقد أسس عقيدة مختلفة تقدس الأشجار والشياطين والجن والمردة وأرواح الشر إضافة إلى مصاصي الدماء والغيلان والتنانين ويقدسون أرواح الشر وفي ذلك يلتقون بعباد الشيطان في شمال العراق وجنوب تركيا والذين ورد ذكرهم في مكان آخر من هذا الكتاب.

وقد دون لاوتسي تعاليمه في كتاب صغير ضم خمساً وعشرين صفحة سماه (داويته كينغ) أي كتاب العقل والفضيلة. ولم يترك أي أثر يدل عليه سوى هذا الكتاب الذي أصبح فيما بعد أساساً لعقيدة اللاوية التي يعتنقها عدد كبير من الصينيين حتى وقتنا الحالي.

وعلى نقيض كونفوشيوس الذي يدعي عدم معرفته بأي شيء عن الله محاولاً تعليم الناس طريق الصلاح.. يقول لاو: إن الذين يريدون أن يحيوا حياة فاضلة وصالحة عليهم الإيمان بداو، أي الطريق إلى الله وبعد موت لاوتسي، بعدة عشرات من السنين نسي الناس تعاليمه وبدأوا يفسرون تعاليمه بتفسيرات جديدة حيث تحولت الداوية من عقيدة وتعاليم فلسفية إلى عقيدة دينية تؤمن بمعبودات لم يذكرها صاحب التعاليم أيام حياته قط وراح أتباعه يعبدون كل أنواع

التنانين والغيلان وبنات آوى والثعابين. وبمضي الزمن زاد اعتقادهم بالشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر. وبدأ الداويون يسردون آلاف الأساطير عن الشياطين في الجبال وكيف يتمكن بعض المؤمنين من قتل المردة من الشياطين في هذه الجبال.

وعلى اعتبار أن الديانات الصينية لم تهتم بما بعد الموت ولم تقدم أجوبة عن الأسئلة الكثيرة المتعلقة بهذا الموضوع ولذلك فعندما سمع الصينيون بعقيدة بوذا والتفسيرات التي تقدمها البوذية من خلال النيرنافا أرادوا أن يزدادوا بها علماً وهكذا سرعان ما انتشرت تعاليم بوذا في جميع أنحاء الصين بعد أن غيرها أتباع بوذا تغييراً كبيراً. فبعد وفاة كونفوشيوس بخمسمائة عام أصبح الإمبراطور ميغ بوذياً وأمر بترجمة الهتروبياتاتي وهو كتاب البوذيين المقدس إلى اللغة الصينية وتعليمه للشعب.

إذا عرفت شيئاً

فتمسك بأنك تعرفه

وإذا لم تعرفه فأقر بأنك لا تعرفه

إن ذلك في حد ذاته معرفة

إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس

فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم

إذا كنت لا تعرف الحياة

إذا حرصت على أداء واجبك

وبعدت كل البعد عن الكائنات الروحية

مع احترامك إياها

أمكن أن تسمى هذه حكمة

استمل الصالحين المستقيمين

وانبذ المعوجين

وبهذه الطريقة يستقيم المعوج

ـ كونفوشيوس ـ

تأليه بوذا بعد وفاته:

قبل التطرق إلى تفاصيل رحلة البحث عن الخالق بالنسبة للعقيدة البوذية لا بد لنا من إيراد لمحة مبسطة عن بوذا الذي أصبح إلهاً بعد وفاته... فقد ولد بوذا الأمير ابن الملك سودهوا داتا ملك قبيلة الساكيا في عام ٥٦٨ ق.م على سفوح جبال الهيملايا في الهند حيث سمي سيد هاتا حينها.. وكانت القبيلة تعتنق العقيدة الهندوسية.

وعندما بلغ الأمير سيد هاتا الثانية عشرة من العمر أقيم له حفل تعميد كبير حيث وضع حول عنقه الخيط المقدس وأقسم أن يكون دارساً متحمساً للكتب المقدسة طبقاً لعقيدة أبيه.. عقيدة الهندوس ثم أرسل إلى الكهنة في مملكة ساكب ليتلقى عنهم العلم وذلك عن طريق دراسة كتب (الفيداس) المقدسة التي كتبت كلها على شكل شعر وكلها مكتوبة بالسنسكرينية...

وبدأ يمعن التفكير بالعقيدة الهندوسية التي قسمت الناس إلى أربع طبقات يأتي على رأسها طائفة البرهمية وفي أسفلها الطائفة المنبوذة وهي الأشد فقراً وتساءل لماذا قسم براهما الخالق الناس إلى مثل هذه الطوائف؟ إن ذلك يبدو ظلماً ويجعله يحس بأن كل ما يقرأه من التراتيل الدينية باطلاً.. وبدأ يبحث جاداً عن الحقيقة حيث قرر أن يهجر قصره وعائلته وثراءه وأن يخرج إلى الغابات وأن يحيا

كواحد من الرهبان الفقراء... ومضى يبحث عن الحقيقة.. وعن حكمة العالم التي قد تفسر له كل الحياة..

وبعد فترة طويلة قضاها سيد هاتا بالتفكير والتأمل اهتدى إلى حكمة مفادها من الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشر يجب أن يأتي الشر.. بعدها عاد إلى أصدقائه من الرهبان في إحدى الليالي ليسمونه البوذا ومعناها المستنير.. وهي الليلة التي تسمى عند البوذيين بالليلة المقدسة.. وقد أوجد الطريق ذي السبع شعب:

الإيمان بالحق: وهو الإيمان بأن الحقيقة هي الهادي للإنسان.

القرار الحق: بأن يكون المرء هادئا لا يؤذي أي مخلوق

السلوك الحق: ويتلخص في عدم السرقة والقتل أو أي فعل يأسف له المرء فيما بعد ويخجل منه.

العمل الحق: الابتعاد عن العمل السيء والاقتصار على العمل الجيد.

الجهد الحق: بالسعي دائماً إلى كل ما هو خير.

التأمل الحق: بالهدوء دائماً وعدم الاستسلام للفرح والحزن.

التركيز الحق: وهذا لا يكون إلا بإتباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مرحلة السلام الكامل.

ولم يمض وقت طويل حتى كان لبوذا آلاف من الأتباع.. ومضت شهرته متنقلة من مملكة إلى أخرى حتى بلغت بلاد الساكيا.. والأهم من كل ذلك أن بوذا لم يعلن نفسه إلهاً، بل لم يؤمن بوجود إله حتى البراهما الذي يعتقد به الهندوس والذي كان هو نفسه منتمياً إليهم بل كان يعتبر أن العالم موجود منذ الأزل ومستمر الوجود إلى ما لا نهاية وأن هذا الكون أوجد نفسه بنفسه لذلك فلا سلطان على الإنسان إلاّ سلطان ضميره ونفسه وحتى تصفو نفسه وتهدأ روحه لا بد أن يتبع التعاليم السبعة السالفة الذكر.

وأكد بوذا في تعاليمه أن الناس سواسية ويحق لكل إنسان أن يدخل في سلك الرهبنة خلافاً للعقيدة الهندوسية أو العقائد الأخرى التي كانت سائدة فيها وكانت جميعها قومية أي حكراً على الأقوام الذين يعتنقونها أي كانت تمنع على غير الهندوس اعتناق الهندوسية مثلاً..

وعندما بلغ بوذا الثمانين من عمره مرض فجأة وعرف أن النهاية قد دنت لذلك جمع رهبانه وقال لهم عندما أموت ولا أصبح بينكم فلا تظنوا أن بوذا قد ترككم أو أنه لم يعد موجوداً بينكم فلديكم كلماتي وتعاليمي من أجل الحقيقة وليكن دليلكم تلك التعاليم التي علمتكم.. ثم مات في عام ٤٧٠ ق.م أي منذ أكثر من ٢٤٠٠ عام.

ومع مضي السنين بدأ اتباع بوذا ينسون فكرة أن بوذا مجرد مصلح اجتماعي وأن فكرة الدين كانت أخلاقية خالصة وأن كل ما كان يبغيه بوذا هو سلوك الناس أما الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت فكلها

لا تستحق النظر برأيه.. لقد نسي أتباع بوذا كل ذلك وراحوا يؤلهون بوذا نفسه وأخذوا يؤلفون الكتب المقدسة التي تتحدث عن الإله بوذا وتصف كيف تقدم له القرابين.. وبعد أن كان بوذا يدعو إلى نبذ عبادة الأصنام أقام له أتباعه الأصنام والتماثيل وبعد أن كان يدعو إلى نبذ عبادة الآلهة جعلوا منه إلهاً معبوداً.. واتسعت شقة الخلافات بين الكهنة حول تفسير تعاليم بوذا والتعاليم المستحدثة مما سمح للكثير من تفاصيل العقائد الأخرى المنتشرة في الهند بالتسرب إلى التعاليم البوذية.. كما شجعت الديانات الأخرى هذه الانقسامات وأخذت تدس تعاليمها في ثنايا البوذية حتى تضاربت الآراء...

في هذه الأثناء انتقلت التعاليم البوذية من الهند شرقاً إلى نيبال وتركستان الشرقية والصين واليابان وجنوباً إلى بورما وسيام وسيلان إلاّ أنها اتخذت في كل بلد من هذه البلدان ألواناً مختلفة من المذاهب التي انقسمت اليها البوذية وألهت المعلم المستنير بوذا وبنت له معابد في غالبية أنحاء آسيا ووضعوا له في كل معبد تمثالاً وأصبح الأتباع يأتون إلى هذه التماثيل بالأزهار ليضعوها عند قدمي التمثال ويحرقون البخور أمامه ويكرمون ذكراه».

وبذلك أصبح عدد العقائد الأساسية التي يعتنقها الصينيون ثلاثة وهي البوذية، والداوية، والكونفوشيسية على أن البوذية هي الأكثر انتشاراً إن كان ذلك في الصين أو بلاد آسيا.

طوبى للذي يتغلب على ذاته

وطوبى لمن ينتظر السلام

وطوبى للذي وجد الحقيقة

الحقيقة نبيلة جميلة

لأنها تنقذك من الشرور

وما من مخلص في العالم يعادلها أو يساويها

لنثق بالحقيقة

وإن كنت غير قادر على إدراكها

فتظن حلاوتها مرارة وتهرب منها

ثق بالحقيقة لأنها أجمل مما هي

وما من أحد يستطيع السيطرة عليها

إن إدراكها لا يكون إلا بالإيمان

فآمن بها.. وإحيا فيها

الذات حمى خداعة

تتراءى حلماً جميلاً ثم يضمحل

أما الحقيقة بلسم. الحقيقة سرمدية

ولا خلود إلاّ فيها

لأنها هي وحدها تبقى أبداً.

- بـوذا -

اعتقاد اليابانيين بالآلهة:

كان اليابانيون الأوائل يعتقدون أن حدود العالم منحصرة في حدود اليابان وأنهم وحدهم أهل هذه الدنيا وأن مملكتهم ذات الجزر الثماني هي العالم كله بما يحيط بها من مياه وسماء وجزر صغيرة تابعة... وحتى السماء كانوا يعتقدون أنها قريبة جداً منهم وأن فيها ثقبا هبطت منه آلاف الأشجار والنباتات والأعشاب وجميع الكائنات الحية حتى البشر. ولهذا السبب كانوا يتصورون وجود أعداد لا متناهية من الكائنات الحية في السماء وأن حياتهم لا تختلف عن تلك الموجودة على سطح الأرض.

كما يعتقد اليابانيون القدماء أيضاً بوجود جسر بين السماء والأرض حيث كان الناس يستخدمونه لزيارة السماء إلا أن هذا الجسر انكسر ذات يوم ولم يصلحه أحد إلى أن اختفى تماما.

وانطلاقاً من هذا التبسيط في الاعتقاد وبأصل الخلق جاءت عقيدة اليابانيين القدماء بسيطة.. بل اعتقدوا بأن النجوم والقمر والشمس والجبال والأنهار والرعد الهة والشعوذة الطريق الأساسي لإرضائها.

ولم يقتصر اليابانيون على عبادة خوارق الطبيعة إنما امتد إلى عبادة أرواح الموتى وعبادة الأسلاف..

كما وضع اليابانيون كتابان مقدسان لعقيدتهم تلك لازالا محفوظين حتى الآن هي كتاب (الكوجيكي) و(النيهونجي). وفي هذين الكتابين جاء الإله (ايزاناجي) الوسيم والآلهة (ايزانامي) الجميلة الشابة فخلقا اليابان وتزوجا عليها بعد أن هبطا من الثقب الذي أتينا على ذكره آنفاً. وأخذا الطبيعة البشرية بما فيها من حب وكره ويأس... وحتى الطبيعة الجسدية والبيولوجية كالأكل والشرب والجنس وخاصة الجنس الذي أعجبهما كثيراً حيث أدى بهما إلى إنجاب ٤٢٢٤ إبناً. ولا زال تمثالهما منتشراً في مختلف أنحاء اليابان حتى يومنا هذا حيث يقوم من بقي من أتباع هذه الديانة بالتعبد أمام هذه التماثيل.

ومع احتكاك اليابانيين بغيرهم من الشعوب استهوتهم فكرة تعدد الآلهة فبدأت الأساطير التي تتحدث عن ولادة الآلهة ايزا نامي لربة الشمس (أماتيراسو) ثم لإله القمر (تسوكي يومي).. ثم اله العواصف (سوزاتو) ثم اله النار (كاجو تسوتشي) وهكذا ماتت الآلهة ايزانامي.

ولا زال اليابانيون يعتقدون حتى الآن بما سبق من أساطير وأفكار واهم هذه الأساطير أن الأباطرة اليابانيين هم أحفاد الآلهة وأن الامبراطور الياباني الحالي هير وهيتو هو الحفيد الـ ١٢٤ لالهة الشمس (أماتيراسو). ومن أجل ذلك أيضاً حثت عقيدة الشنتو أتباعها بأن أهم وأقدس واجباتهم الدينية هو الولاء لأباطرتهم.. يأتي بعدها عبادتهم

لجبال اليابان ووديانها وحقولها مما جعلهم يعشقونها ويقدمون في سبيلها الغالي والرخيص ومن هنا جاءت فكرة الساموراي الياباني الذي يقدم حياته عن طيب خاطر فداء لبلاده.

ومع زيادة احتكاك سكان الجزر اليابانية مع البلاد الأقرب لهم وهي الصين وشعبها ذي الحضارة الضاربة جذورها في أعماق التاريخ بدأوا يأخذون منهم فنونهم ويتعلمون منهم الكتابة ومنها تعلموا عقيدة كونفوشيوس وعبادة الأسلاف.. ومع انطلاقهم إلى الحضارات الأخرى استوردوا البوذية من الهند ثم صدروها إلى كوبا وغيرها بحيث أصبح ملك كوريا وفي عام ٦٨٠ م بوذياً وأقام معبداً لبوذا في كوريا وضع فيه تماثيل الحكيم الهندي وكتبه ووصاياه إلا أن البوذية التي وصلت إلى كوريا واليابان تعرضت للتشوه الكبير حيث أصبح بوذا معبوداً بحد ذاته بعد أن كان حكيماً يرشد الناس إلى سبيل الصلاح.. كما أضافوا إليه آلهة صغيرة تحيط به وأقاموا المعابد في كل مكان من اليابان وكوريا لبوذا وأتباعه من الآلهة.

الحياة شبيهة برحلة طويلة

يحمل فيها الراحل حملاً ثقيلاً

فاجعل خطاك وئيدة ثابتة

حتى لا تتعثر

واقنع نفسك بأن النقص والتعب

هما نسيج الحياة الطبيعي

عند من تفنى حياته

ولن يكون في حياتك عيد

لك في سبيل السخط

فإذا طرأت على قلبك نزوات الطموح

فتذكر أيام الشقاء الرهيب

فالصبر هو أساس الطمأنينة

فانظر إلى السخط نظرتك إلى عدوك

وإذا اقتصر علمك على كيف تهزم الناس

ولم تعلم كيف تنزل بك الهزيمة.. فالويل لك

ويا سوء طريقك في هذه الدنيا

فاكشف عن الخطأ داخل نفسك

قبل أن تكشف عنه في نفس غيرك

(إيباسو)

كيف تصور الفرس القدماء الآلهة ؟؟

الواقع أن بعض الديانات.. أو أن بعض أصحاب الفلسفة الدينية قد اتجهوا منذ قديم الأزل نحو التوحيد.. أي عبادة اله واحد اقتنعوا بقوته غير المحدودة التي يستطيع من خلالها التحكم في مصير الكون ومساره كما اقتنعوا بعد تأمل وتفكير عميقين بأن هذا الإله هو خالق كل شيء وهو مدبر كل شيء في هذا الوجود.

لكن هؤلاء الفلاسفة اتخذوا رموزاً لقوة الإله فبجلوها وقدسوها كالشمس والنار والأصنام وما شابه.. وكانت الزرداشتية أو فلسفة زرادشت الدينية هي أبرز الفلسفات في ميدان التوحيد ولاشك بأن هذه الفلسفة جديرة بالدراسة والتمحيص لأنها دعت منذ البداية إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد بالرغم من التسمية التي أطلقت عليهم إلا وهي (عبدة النار) لأنهم يشعلون في معابدهم ناراً دائماً.

ويقوم أتباع زرادشت يومياً مع مطلع الشمس وغروبها بتقديس الشمس بأن يسجدوا لها على اعتبارها إحدى أهم رموز قوة الإله الواحد. فمع غروبها ينحنون أمامها ثلاث مرات ويغطسون أيديهم في الماء ويمسحون جباههم كما يسجدوا للنار التي يعتبرونها مقدسة وليست إلهاً على اعتبار أن زرادشت لم يعبدها ولم يدع إلى عبادتها وإنما

اتخذوها رمزاً من رموز الإله الطاهر الذي يهلك الأشرار ولا يراود نفسه شر.

واللافت في طقوس الزرادشتيين أنهم يقدسون الأرض والماء والنار لذلك وعندما يموت أحدهم لا يحرقونه ولا يلقونه في ماء البحر ولا يدفنونه لأن الميت في عرفهم يصبح نجساً عندما تخرج الروح الطاهرة من جسده فيضعونه على أبراج تسمى (أبراج الصمت) بنيت على قمم الجبال ويتركونه لتأكله الطيور الجارحة.

وأتباع زرادشت يسمون أيضاً بالمجوس وأصلهم من إيران ويسكن معظمهم حالياً غرب الهند على مقربة من بحر قزوين.

ولابد أن نشير في هذا السياق إلى أن المجوس لا يؤمنون بالحياة الأخرى أو النيرفانا كما يسميها الهندوس ويحتقرون الكسل ويحترمون النشاط والعمل.

وقد تطورت العقيدة الزرادشتية لتدخل إليها عبادة العديد من آلهة الطبيعة حيث تحولت الشمس من رمز إلى إله يعبد وأصبح لها أتباع وسموها (ميترا).. كما عبدوا آلهة الخصب وسموها (أنيتا).. والنور الذي سموه (هوما) والمطر والسحاب والريح في اله واحد سموه (دايفا) أي الخير. ولاشك أن في ذلك تشابهاً مع تعدد الآلهة في تدمر كالإله بل (اله الشمس) و(نبو) اله الضمائر البشرية و(بعلشمين) اله المطر والخصب.. واللات (الربة الأم).

ومع تعدد هذه الآلهة بدأت فرق من المجوس تعبد آلهة أخرى وأهمها الأصنام التي اعتبروها واسطة تقربهم إلى الإله الواحد فصاغ الأغنياء أصنامهم من الذهب والفضة فيما قام الفقراء بنحت أصنامهم من الخشب والحجارة ووضعوا هذه الأصنام في معابد خاصة وبنوا لها مذابح يقربون عليها القرابين. وأوجدوا لها تراتيل خاصة وجعلوا عليها كهان يقومون على خدمتها.

وقد استورد عرب الجاهلية من خلال احتكاكهم بالحضارة الفارسية عن طريق التجارة التي اشتهروا بها.. استوردوا عبادة الأصنام إلا أن هذه العبادة اختلطت مع عبادة الله التي دعا إليها أنبياءه الذين نزلوا في المنطقة العربية وخاصة مذهب سيدنا إبراهيم الخليل الذي كان منتشرا في الجزيرة العربية.. لكن الملاحظ أن أتباع الدين اليهودي والمسيحي لم يتأثروا بهذه العبادات بل بقوا على حالهم في عبادة الله سبحانه وتعالى من خلال التعاليم التي جاءت في التوراة والإنجيل.

كما أن الملاحظ أيضا أن عرب الجاهلية اتخذوا الأصنام كواسطة تقربهم من الله عز وجل ويتضح ذلك في أدبياتهم وأشعارهم حيث كان الاعتقاد بالله عز وجل واضحاً فيها.. كما أن عرب الجاهلية آمنوا بالدار الآخرة فيما لم يؤمن المجوس بها.. ويتضح ذلك أيضاً من خلال أدبياتهم وعلى رأسها الخطب التي تساءلت عن المصير الذي

يلقاء الأموات بعد الموت. لكن عدم الإيمان بالدار الآخرة بالنسبة للمجوس جاء من خلال التطورات التي شهدتها هذه العقيدة لأن زرادشت نفسه آمن بها.

لكن وحسب المذهب المجوسي فإن أتباع هذه المذهب اتخذوا العديد من الوسائط لتقريبهم إلى الله ليمنحهم الخير والبركة والرزق الوفير وليس لتتشفع بهم يوم القيامة كما ذكرنا آنفاً أنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة أو الحساب.

ولابد لنا من التحدث عن سيرة حياة زرادشت فقد ولد في عام ٦٦٠ قبل الميلاد لأبيه بوروزهازيو وأمه دوغدوما في إيران.. وعندما بلغ السابعة من عمره أرسله أبوه إلى المدينة لتلقي العلم مع الحكيم بورزين فامتدت شهرته بالحكمة في جميع أنحاء إيران. ثم درس الطب فأصبح طبيباً حاذقاً في الخامسة عشرة من عمره.

بعد ذلك اعتزل زرادشت الناس في البحث عن الحقيقة التي يتمثل بها السبيل إلى القضاء على العناء الذي يقاسي منه الناس وجعلهم سعداء وفي أحد كهوف جبل سايلان في إيران توصل إلى أساس عقيدته وهو أن الدنيا فيها الخير والشر ولا يمكن تغيير طبيعتها أبداً فلا يمكن للخير أن يصبح شراً ولا للشر أن يصبح خيراً قط. وبعد سنوات عديدة من التفكير والتمعن نزل زرادشت إلى الناس يدعوهم إلى الاعتقاد بسر الحكمة التي توصل إليها وخاصة الإله الواحد الذي لا يرونه بأعينهم ولا يسمعونه بآذانهم.

وبعد عشرة أعوام من الكفاح في سبيل نشر عقيدته دون جدوى توجه إلى الملك الإيراني كشتاسب وأقنعه بعد جهد دؤوب بالإيمان بعقيدته عندها تدفق الناس على زرادشت حتى أسرته التي لفظته في البداية أعلنت إيمانها بتعاليمه.

وأمر الملك أن تذبح ١٢ بقرة وتدبغ جلودها وتربط بخيوط من الذهب الخالص وأن تكتب عليها بالذهب الخالص جميع تعاليم زرادشت على اعتباره نبياً لإله واحد هو (أهورامزدا). ثم أرسل الملك الرسل إلى جميع أنحاء إيران وخارجها لنشر التعاليم التي سميت فيما بعد (الافيستا) أو الكتاب المقدس لزرادشت. فوصلت تعاليمه إلى توران واليونان والهند.

وخلال إحدى الغزوات التي تعرضت لها إيران من قبل مملكة توران المجاورة والرافضة لتعاليم زرادشت تمكنت توران خلالها من اقتحام مملكة الملك كشتاسب فدمروا المعابد التي تتأجج فيها النيران وتمكن المقاتلون التورانيين من دخول المعبد الخاص لزرادشت في مدينة بلخ الإيرانية وطعنوا الحكيم العجوز في ظهره وهو ساجد أمام النار الملتهبة في المعبد داعياً إلى إنقاذ الشعب من مؤامرات التورانيون. وقطعوا رؤوس الكهنة الثمانين الذين كانوا ساجدين أمام النار مع حكيمهم الأكبر زرادشت. وكان حينها في السابعة والسبعين من عمره. لكن تعاليمه لم تنته حتى الآن.

أما عن النار فقد اتخذها الزرادشتيون أو المجوس إلى جانب الشمس رمزا للإله القادر أهورامزدا لذلك وجب على الكهنة ورجال الدين أن يقدسوها ويعبدوها لذلك وجب عليهم إبقاء شعلتها مضطرمة في المعابد وذلك من خلال ورودهم على المعابد خمس مرات يومياً فيضعون فيها وقوداً من خشب الصندل وغيره من المواد العطرية فتنشر في المعبد رائحتها الزكية.

ومن أهم ما ورد في الافيستا (تعاليم زرادشت المقدسة) ما يلي:

«لن أقدم على سلب أو نهب ولا تخريب أو تدمير ولن آخذ بالثأر.. وأقر أني أعبد الإله الواحد أهورامزادا وأني اعتنق دين زرادشت واقر أني سألتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح».

«اهورامزادا اله واحد لا شريك له وهو خير خالص لا شر فيه ولا فساد وهو منبع الخير في الكون ومصدر كل نور».

«اهورامزدا هو المشرع العادل والقاضي الأسمى الرحيم».

قوة أهورامزا هي التي ستنتصر دائماً على قوى الشر المتمثلة في أهرمان لأنه سبب كل ما في العالم من شرور وغدر. ويبدو هنا أن كلمة أهرمان هذه إشارة واضحة إلى الشيطان أو إبليس.

وبالنسبة للوجود كان زرادشت يؤمن أن العالم سينتهي في حياته إلا أن أتباعه بعد وفاته قالوا ان الإله الواحد خلق العالم على ستة مراحل كل مرحلة استغرقت شهران وان العالم سيستمر ألف سنة مقابل كل شهر من شهور الخلق. وأضافوا ان زرادشت ولد في نهاية الألف التاسعة بعد الخلق وأنه بعد وفاته بثلاث آلاف سنة سيظهر نبي يخلص البشرية.

لكن التعاليم الحقيقية لزرادشت اندثرت ولم يبق فيها إلى ما تواردە أتباعه جيلاً عن جيل ودونوه.. والتعاليم الأساسية التي كتبت على جلود البقر لم يعرف مصيرها بسبب غزو الإسكندر الأكبر لأرض إيران وتمزيق الامنسيتا ونشر عقيدة اليونان مكانها.. لكن الشعب الإيراني استمر في تعليمها سراً لابنائه وعندما استقلت فارس عن اليونان أعادوا تعاليم زرادشت ثانية وجمعوا الأجزاء المتبقية من الامنسيتا في كاتب واحد وبنوا معابد جديدة للنار..

وعندما جاء الإسلام وفتح العرب إيران اعتنق أغلب أهلها الإسلام فيما هرب الذين تمسكوا بعقيدتهم الزرادشتية إلى الهند وأقاموا فيها.. ولم يبق منهم حالياً إلا حوالي ١٢٠ ألف مجوسي لازالوا يمارسون نفس الطقوس التي أمرهم بها زرادشت.

هذا ما أسألك عنه

فاصدقني القول يا اهورامازدا

من ذا الذي رسم مسار الشموس والنجوم؟

ومن ذا الذي يجعل القمر

يتزايد ويتضاءل؟

ومن ذا الذي رفع السماء والأرض من تحتها؟

وامسك السماء أن تقع؟

من ذا الذي حفظ الماء والنبات

ومن ذا الذي سخر للرياح والسحب سرعتها؟

ومن ذا الذي أخرج العقل الخير؟

إنه أنت يا واحد يا أهورامزدا

من يستطيع أن يحمي شخصاً ضعيفاً فانياً مثلي؟

أي كائن آخر غيرك؟

بمالك من عقل وقوة نارية

يقوي نشاطه على تنفيذ مبدأ الاستقامة والإيمان؟

اكشف لي عن أسرار المعرفة

كي تساعد على نشر عبادتك

أيها الإله الواحد.. الحكيم

يا أهورامزدا..

(زرادشت)



الآلهة لدى الشعوب المتوحشة

معتقدات الشعوب المتوحشة

- في استراليا:

وتسكن القبائل البدائية الأسترالية في جنوب غربي استراليا وهي قبائل (كـا ميلادوي ورادجوري وأوياهلايي ويويف وقبيلة ولونجونغ وجرنجاني) والقبائل الثلاث الأولى تسمي هذا الكائن (بيامي) ويعتقدون بأنه يسكن السماء ويأن له ولد ولكنه لم يولد من أم وهو يراقب أعمال البشر والصالحون منهم في الجنة والأشرار منهم في الجحيم ويطلقون عليه أسماءً وصفات مثل (أبو الكل، الفاعل الخالق، خالق الأرض والماء والسماء، منزل المطر، منمي النبات، باعث كل شيء، مانح الحياة، عليم بصير).

أما الكائن الأعلى الذي يعتقد به شعب بوين فيدعى (درامالون) ويسمونه (الأب والسيد ومنزل المطر وقادر على كل شيء).. أما شعب ولونجونغ وشعب اللاورا فيسمون كائنهم الأعلى (ممبا) ومعنى هذا الاسم الرعد.. والكائن الأعلى لقبيلة (واتي - واتي) يسمونه (تاتابولي) ويطلقون

عليه صفات عديد منها (خالق الرجال والنساء)، وساكن السماء) وللقبائل المجاورة أيضاً كوائن أعلى خاصة بها وهي (قولونج وموريلله).

ـ وفي استراليا الجنوبية:

تعتقد قبائل نير نيرة بكائن أعلى يسمى (نرنديرة) عزوا إليه كثيراً من الأساطير التي تسرد تفاصيل حياته المتخيلة في الأرض.. وتعتقد القبائل التي تسكن في أولايد بكائن أعلى يسمونه (موناي نيشر لو) ويطلقون عدة صفات عليه منها (خالق الشمس والقمر، وساكن السماء، الأب). كما أن لقبيلة ديري كائن أعلى يسمى (مورامرا) يسكن السماء ويدعون بأن القمر والشمس قد انبثقت عنه.

ـ قبائل الأرونتا:

وتسكن هذه القبائل في جنوب شرق استراليا ويعتبرها علماء الأنتروبولوجيا إحدى القبائل الأسترالية المتوحشة من حيث التطور إلاّ أن فريقاً منهم اعتبرها متطورة لأن أفرادها يعتقدون بكائن أعلى اسمه (التزيرا) أو (نونكورا) حيث يتصورونه بهيئة رجل كبير شديد البأس ويسكن السماء وما النجوم والقمر والشمس إلا مصابيحه السماوية.. ويرونه اله خير فقط يرسل الضوء والدف والمطر...

- جزر أندمان:

وتقع هذه الجزر في خليج البنغال بين الهند والملايا ولأهلها كائن أعلى يسمونه (بلوجا) يدعون أن مقره في السماء وله زوجة أنجبت له ولدا يقوم بمهمة الوزير لأبيه وأنجبت له أولاداً آخرين كثيرين أيضاً يسمون (أرواح السماء) والشمس على مقربة من داره والقمر مع أولاده ويعتقدون أيضاً أن بلوجا يعيش كما يعيش البشر يأكل ويشرب وينام والرعد صوته والريح نفسه وليس له كهنة أو شعائر أو طقوس ولا صلوات ولا قرابين..

- شبه جزيرة ما لاقه:

تعتقد قبيلة (سمانج) وهم من أقزام أستراليا بكائن أعلى يسمى (كاري كاره) ويتصورونه ذا جسم ضخم أكبر من جسم الإنسان وقوي جداً... خلق كل شيء ما عدا الأرض والبشر الذين خلقهم (بلي) وهو كائن الهي آخر يعمل بأمر كاري ويعاقب كاري البشر إذا خالفوه بالصواعق.. وهو لا يرى ولا يموت والحياة والموت من آثار قدرته وليس له عبادة ولا دعاء ولا صلوات...

- في أفريقيا:

وفي أفريقيا يمثل البوشمان والأقزام المنتشرين ولا سيما في أفريقيا الاستوائية أقدم نموذج، بين القبائل

المتوحشة للتفكير بالـه واحـد.. وبـالرغم مـن أن فكرة الكـائن الأعلـى غير ناضجـة عنـد البوشـمان بوجـه عـام فـإن قبيلـة (مـاكالونج) تعتقـد بالـه أعلـى يدعـى (كاآنج) أو (كويـه أكـانج تنج) ويعنـي حـامي جميـع الموجـودات ويسـكن في السـماء ولا يرى.. يتضرع إليه الناس عند الكوارث والمصائب كالمجاعات والحـروب وهـو الـذي يـنزل المطـر ويمنـح الحيـاة والمـوت ويعتقـدون بقدرتـه علـى الانتقـام بـإحداث الجفـاف ونشـر الأوبئـة والمجاعـات.. ويتضـرع إليه أقـزام نكـولا في أفريقيـا الاسـتوائية وحـوض الكونغـو ومنطقـة بونـي ويطلقـون عليـه أسماء تختلف من قبيلة إلى أخرى..

- في أمريكا:

اعتقد الهنود الحمر في أمريكا باله أعلى يسكن السماء لكن منهم مـن تصـور أنـه الشـمس وهـي الغالبيـة العظمـى.. فيما تصور البعض الآخر أنـه الـه قـادر قـوي يسـكن السـماء التـي يعتقـدون بأنهـا صلبـة كـالأرض ويسـمونه (لاكسـها) ويعتقـدون بـأن هـذا الإلـه غضـب مـن أعمـال البشـر وأحـدث الطوفان في الأرض عقاباً لهم على ما فعلوا..

وبالنسـبة لهنـود كاليفورنيـا فكـانوا يسـمون إلههـم باسـم الشيخ (لاسوا أي الشيخ في السماء ويعتقدون بأنه خـالق كـل شـيء ويطلقـون عليـه تسـميات كثـيرة منهـا (الشـيخ القديـم والشـيخ الأول والشـيخ الأب والشـيخ في العـلا)، أمـا قبـائل يونكي فيسمونه الكائن الخالق.

ان المعلومات السالفة الذكر كان العالم بتا تسوني قد جمعها في مخطوط سماه (اعتقاد القبائل المتوحشة بالله، وقد اختار أكثر القبائل همجية لتأييد نظريته القائلة باعتقاد الناس منذ البداية بالله الخالق القادر.. فاختار من أستراليا أكثر قبائلها توحشاً ومن أفريقيا وأمريكا أيضاً مما أثبت أن الاعتقاد بالله راسخ في أعماق التفكير البشري واللاوعي الإنساني مما يدل على أن هذا الاعتقاد جاء متوارثاً من جيل إلى جيل لكن تنقله على ألسنة الناس طيلة مئات القرون أدى إلى إصابته بالتشويه إضافة إلى ترسيخه في أعماق التفكير الإنساني.

وقد اتفق لانج وبناسوني في نظريتهما حول اعتقاد الناس بإله قادر منذ قديم الأزل مما يجعل الإنسان ميالاً إلى التوحيد.

تأليه الشيطان اتقاء لشره:

ولا زال الغموض يحيط بعبدة الشيطان خاصة وأنهم قرروا عزل أنفسهم منذ قديم الأزل عما يجري في العالم فلا يؤثرون ولا يتأثرون ولا يعتري قناعاتهم أو معتقداتهم أي تبديل..

وهم جماعة من أصل كردي ينتشرون بين تركيا والعراق وسورية ويستخدمون اللغة الكردية بل يفتخرون بمشاعرهم القومية الكردية إلا أنهم يتميزون عن باقي الأكراد بمعتقدهم الديني وهو أمر عرضهم للنبذ بل وحتى الإبادة في بعض الأحقاب.

ويسمى عبدة الشيطان باليزيديين.. وقد اختلفت الآراء في أصل هذه الكلمة حيث هناك من ينسبها خطأ إلى يزيد بن معاوية وهو ما يجعل اليزيدية واحدة من الطوائف الإسلامية.. غير أن الواقع من الناحية التاريخية أو الثقافية أو الدينية يثبت أن لا علاقة لليزيديين بيزيد بن معاوية فضلاً عن المعتقد الديني اليزيدي نفسه الذي يدحض مثل هذا الرأي.

ويتفق دارسو المعتقد الديني اليزيدي على أنه دين قائم بذاته وإن كان متأثراً بديانات أخرى كالمسيحية واليهودية والإسلام إلا أن منبته يعود إلى الديانة الزرادشتية وأفكار ماني في الهند التي تطور عنها.

وقد أكد علماء اللغات الحية ان كلمة يزيدي مشتقة من كلمة (يزدان) التي تعني باللغة الكردية والفارسية (الإله) وهي مشتقة من الأصل السنسكريتي (يازاد) بمعنى الخالق أو المبتكر ثم خففت مع الزمن لتصبح (يازد) وجمعها (يازان) أو (يزان).. أما الغرب وبشكل من أشكال التحوير الذي تمارسه الشعوب على نحو عفوي فقد لفظوا الكلمة (يزيد) وأطلقوا اسم (اليزيديين) على معتقي هذه الديانة.

ومع مرور الأيام ساد الاعتقاد أن لهؤلاء بيزيد بن معاوية علاقة وربما لهذا السبب ينظر إليهم المسلمون بشيء من الحنق والريبة.

ويؤكد العديد من المختصين في الديانات أن اليزيديين لهم صلة بالجذور الزرادشتية التي ابتعدوا عنها نتيجة الهجرات القسرية من موطنهم الأصلي في مناطق كردستان إيران والتطورات التي تعرض لها معتقدهم نتيجة اختلاطهم بالشعوب والحضارات التي اختلطوا بها قسراً. لكن لا زالت الطقوس الزرادشتية تمارس في الديانة اليزيدية من قبيل تقديس النار والتوجه في الصلاة نحو القطب وإيلاء مكانة خاصة من التقديس للشمس والقمر والنور.

ويطلق على اليزيديين اسم (عبدة الشيطان) وهو ما يثير حنقهم بالرغم من صحة هذه التسمية لجهة عبادتهم للشيطان.. إلا أنهم لا يكلفون أنفسهم مشقة شرح علاقتهم مع الشيطان من حيث المعتقد إذ يحرم عليهم التلفظ باسم الشيطان أو أي شيء شبيه بلفظه.. ويظهرون رهبة شديدة من الشيطان الذي يعتبرونه اله الشر حسب الدين أو المعتقد الزرادشتي الذي يسم بالفارسية (أهرمان) القادر على

البطش والأذية والذي يتناوب على حكم العالم مع اله الخير (اللـه) أو كما يسمونه (أهورامـزدا) حسب الديانة الزرادشتية.

ويعتقد اليزيديون أن الشيطان مثل أهرمان ذو قدرة شريرة أما الله مثل (أهورامزدا) فهو ذو قدرة خيرة. ولكي يتجنبوا الشر المتمثل في اله الشر (أهرمان) أو الشيطان فإنهم يستعطفونه ويطلقون علي اسماً جميلاً هو (الملك الطاووس).

وينطلق عبدة الشيطان من فكرة مفادها أن الله خير من الأساس ولا يحتاج إلى الاستلطاف أو الاستعطاف.. لكن الشيطان أو أهرمان شر من الأساس ولإبعاد شره عنهم لابد من استعطافه وتقديم طقوس العبادة له.

ويرمز الثعبان إلى الشيطان في اليزيدية وهو يتصف بالحكمة والدهاء ويشكل مصدر خوف ورهبة حيث يعتبرونه السبب في شقاء الجنس البشري بعد أن سبب خروج آدم من الجنة... وهناك تمثال ضخم للثعبان مع مدخل (لالش) معبد اليزيديين الواقع في شمال العراق.

ويعتقد اليزيديون بأنه لا يجوز قتل الأفاعي لأنها تملك قوة سحرية تستمدها من الشيطان ومن الأفضل عدم تحديها.

ويعتقد الكاتب الإيراني أحمد متوكلي أن اليزيديين يتبعون ديانة ترجع إلى ما قبل الزرادشتية حيث كانت تسود عبادة قوى الطبيعة وكان يطلق على هؤلاء الأشخاص اسم (ديوه يسنا) أي الساحر وقد وردت هذه الكلمة في كتاب (زندافستا) وهو الكتاب المقدس لدى الزرادشتيين و(ديوه) في

اللغة الفارسية تعني الساحر أو ما يعادل الشرير ومنها جاءت كلمة الشيطانية في اللغات الأوروبية مثل ديفيل باللغة الإنكليزية أو (ديابل) باللغة الفرنسية.

كما يعتقد فقهاء اللغات أن هناك علاقة بين كلمة (ديو) الفرنسية و(ديو) الإيطالية و(ديونيل) الألمانية ومنها اشتقت كلمة (دوفيس) الإنكليزية التي تعني المؤامرة أو الاحتيال.

وكان يطلق على اليزيديين اسم (شيدا) أي عابد وجمعها باللغات الآرية القديمة (شيدان) بإضافة ألف ونون. وليس من الغريب أن تكون الكلمة قد تحولت إلى شيطان لدى المسلمين - حسب العديد من علماء اللغات.

ويقول بعض علماء الأديان أنه سواء كان اليزيديون من عبدة قوى الطبيعة أو من بقايا الزرادشتية فإنهم ليسوا في أية حال من عبدة الشيطان بل هم على الضد من ذلك إنما يقدمون له طقوس الطاعة تجنباً له وابتعاداً عنه بالرغم مما في ذلك من تناقض.

وقد تأثرت اليزيدية بالديانات الأخرى فأخذت بعض تعاليمها وطقوسها مثل عادات التعميد والتصليب لدى المسيحيين والبسملة لدى المسلمين والختان لدى المسلمين واليهود وهو ليس إجبارياً عندهم.. ويلبس كبار ورجال الدين والكهنة لديهم أثواباً بيضاء دائرية تيمناً بالتاج الذي كان على رأس المسيح ويحرم قص الشوارب.. كما لا يجوز ارتداء الملابس الزرقاء لأن أول حرف من كلمة أزرق بالكردي

هو الشين أي يتطابق مع أول حرف من كلمة الشيطان... وهم لا يشربون الماء من الجرار والأباريق ذات المقبض لأن المسلمين يستخدمون هذه الأدوات خلال الوضوء..

ويحرم على اليزيدي أن يبصق على الأرض لأن في ذلك إهانة للملك طاووس.. ويحرم عليه أكل الخس واللفت لاعتقاد اليزيدية بأن الشيطان يختبئ داخلهما.

أما بالنسبة للتراتب الديني لدى اليزيدي.. فإن المجتمع اليزيدي ينقسم إلى طبقات دينية متمايزة ومتراتبة تتمتع كل منها بوضع خاص وتمارس أموراً معينة ولها وظائف دينية محدودة وهي تشبه في ذلك التراتبية السائدة لدى البراهمة في الهند، وهذه الطبقات هي:

١. الـمـيـر: وهو رأس الطائفة مقدس ومصون ويسود الاعتقاد بأن جزءاً من الله حل فيه ويعتبر خليفة (الشيخ أدي) الذي يعتبره اليزيديون نبياً والمير الحالي لليزيديين هو (تحسين بك) ويقيم في لندن وله أبناء يعيشون في بغداد.

٢. البابا الشيخ: وهو حارس مرقد الشيخ أدي في وادي لالش شمال الموصل وتتلخص مهتمة في تحديد طرق الصلاة وأيام الصيام ومقادير الصدقات ويعتقدون بأنه يستلهم الحكمة من الله وأنه يعلم متى يموت كل شخص وأن

الشيخ آدي يزوره في منامه ويخبره بأحداث المستقبل.

٣ـ الشـيخ: وهي رتبة دينية تتكون من ثلاثة مقامات وهي (الأوانية والشمشانية والقاقانية) ومهمة الشيخ هي قراءة الترانيم وغسل الموتى وتحديد مهر الزواج وتعميد الأطفال.

٤ـ البـير: وتتلخص وظيفته في إرشاد المريدين وإلقاء المواعظ والنصح وطبقة البير تأخذ نسبة ٥٪ من عائدات المريدين.

٥ـ الفقـير: ويطلق هذا الاسم على فئة الزاهدين وهم يلبسون ثوبا من الصوف ولا يخلعونه إلا بعد أن يهترئ.. ويعلق الثوب المهترئ في مكان آمن حتى يموت صاحبه فيدفن معه.

٦ـ القـوال: وهذه الفئة تلقي الأناشيد في المراسم والأعياد وتحفظ أسرار الطائفة وتجمع التبرعات والنذور وتقوم على تنظيف المقبرة المقدسة للشيخ أدي.

٧ـ الصفـار: ويرتدون أثوابا بيضاء ويعقدون في أوساطهم أحزمة صوفية سوداء وهم يقومون بأعمال يدوية مثل نقل الحجارة والأثقال وزرع الأشجار وإعداد الطعام في مرقد الشيخ آدي ويعتقدون في أوساط اليزيديين أن هذه الفئة

تمتلك القدرة على الاتصال بالأرواح لذلك يلجأ كل من يريد إيصال رسالة إلى ذويه من الأموات إليهم لإنجاز هذه المهمة.

٨- المريد: وهي طبقة عامة الناس وهم يطيعون رؤساءهم طاعة عمياء ويدفعون الصدقات إلى البير والشيخ.

وفيما يتعلق بالكتب المقدسة لدى اليزيديين فهي اثنان هما (جلوة) و(مصحف رش) أي الكتاب الأسود وقد بدأت عملية طبعهما وترجمتهما إلى لغات متعددة منذ عام ١٨٩٥ .. وكان الأب انستاس ماري الكرملي من بغداد أول من نجح في الحصول على نسخة مقبولة من هذين الكتابين وتمكن من ذلك بعد أن قدم رشوة لحافظ الكتب في سنجار. ثم عمد إلى وضع ورقة شفافه وراح يرسم الحروف رسماً وهي حروف شبيهة بالحروف السريانية والعبرية إلا أنها مكتوبة بلهجة أهل السليمانية.

وكتاب الجلوة هو عبارة عن كراس صغير يغطي ثماني صفحات ويحتوي على ١٠٩ أسطر وقد جاء فيه أن الملك طاووس الذي وجد قبل سائر المخلوقات أرسل شيخ آدي إلى العالم كي يقود اليزيديين إلى الطريق القويم عبر الإرشاد الشفوي أولاً ثم عن طريق جلوة الذي لا يحق لأي غريب الإطلاع عليه. ويتحدث الملك طاووس في جلوة بضمير المتكلم عن خلوده وقوته وتفوقه ووجوده الكلي وتمايز الخير عن

الشر وقوانين الكون والتعهد بإرسال رجل عظيم إلى الأرض في كل عصر.

أما (مصحف رش) فهو يتحدث عن خلق الكون ويقول إن الله عمد إلى خلق لؤلؤة بيضاء ووضعها على ظهر طائراً يسمى (تفار) ثم خلق سبع ملائكة تحدث أرواحهم روح الشيخ آدي وتتصل به من وقت لآخر..

ويحتفل اليزيديون بعيدهم في الثاني عشر من نيسان وهو عندهم عيد رأس السنة اليزيدية.. أما العيد الديني فيأتي في تشرين حيث يصوم اليزيدون ثلاثة أيام كما أنهم يصومون أياماً أخرى لإله وأشخاص مقدسين.. فهناك يوم صوم لكل من الملك طاووس وشيخ آدي وشيخ بكر وشيمشي اله الرعي وآلهة البيت للنساء فقط.

ولا أحد يعرف التاريخ الحقيقي لظهور الدين اليزيدي خاصة وأن المعروف عن اليزيديين عزلتهم وانغلاقهم وتوجسهم من الغريب ولا يجوز انتساب أي شخص إلى اليزيدية ما لم يكون يزيديا بالولادة.

وقد تعرض اليزيديون إلى حملات تنكيل ومآسي فظيعة على يد جيرانهم من الديانات الأخرى ومن أشهر الحوادث المأساوية التي تحتفظ بها ذاكرة اليزيديين.. قطع رأس ١٠٠ يزيدي وإعدام أميرهم ونبش قبر الشيخ آدي على يد حاكم الموصل عام ١٢٥٢ .. وذبح عدد كبير منهم بعد إصدار أمير جزيرة بوطان فتوى بإهدار دمهم في عام ١٦٣٠م. والحملة

التي أرسلها إليهم الملا حيدر الكردي والملك المظفر في عام ١٧٢٧م حيث قتلوا البالغين منهم وأسروا النساء والأطفال وتم بيعهم. وعندما رفض اليزيديون الخدمة العسكرية عام ١٩٥٤م اتهمهم والي بغداد بالتواطؤ مع الفرنسيين وجردت حملة قتلت الكثير منهم.

وهناك العديد من التراتيل التي يرددها اليزيديون وخاصة أثناء أداء الصلوات التي تشبه إلى حد كبير صلوات المسيحيين حيث يؤدونها في معابدهم وتحت إشراف كهنتهم ومنها:

يا يزدان... أيها المقدس العطوف

امنح الخير.. وأطرد الشر

آمين... آمين

ليقم العرش في كردستان

وليفرح اليزيديون في الغرب والشرق.

آمين... آمين.

وترتيل آخر يقولون فيه :

يا فارش الشرق... يا شيشما

بحق العرش.. بحق الثور والسمك

بحق آدم وحواء وعيسى بن مريم

يا طاووس الملك..

بحق الدرة الحمراء.. بحق التراب والماء

بحق النار

بحق الأرض والسماء

تفقد أحوالنا

وأنقذنا من البلاء

تقديس الجسم البشري

قدست بعض الطوائف الهندية والصينية الجسم البشري بل وألهته في بعض الأحيان حيث اعتبروه تعبيراً عن الحب تجاه الخالق الذي يشعر، الإنسان بوجوده في لحمه وهو مظهر من مظاهر النقاء.

وكان العري الطقوسي واجباً من أجل المثول أمام الآلهة في بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين. ثم امتد إلى الجزيرة العربية ليصبح الطواف العاري حول الكعبة قبل الإسلام كما جاء في تفسير الجلالين من أن العرب إذا طافوا بالبيت خلعوا ثيابهم وقالوا: لا نطوف في ثياب عصينا الله ونحن نرتديها لكن قريشاً جاءت بمفهوم الحمى أي الطواف بالثياب.

وتبدو تماثيل المرأة الحامل في بلاد النهرين رمزاً للخصوبة وهي أم وأرض معاً فيما كانت المرأة ذات اللون الأسود ترمز للأمراض والأوبئة والمصائب.

كما قدست بعض الفئات الأرواح والجماجم فاعتبروها رمزاً لاتصالهم بالأرواح التي يقدسوها.. فكانت الجمجمة أو طوق الجماجم رمز الألوهيات المحاربة في الديانات الهندية والأميرندية الآسيوية... وغالباً ما تصور تماثيل الهندوس الإله شيفا وهو يحمل في عنقه طوقاً من الجماجم البشرية.

أما الشعر الطويل فكان بالنسبة للمعتقدات الصينية مسكناً للقوى الإلهية فيما الفراعنة والصينيون يقدسون الآذان معتقدين أن نفخة الحياة أو الروح تمر بالأذن فكانوا يتحفظون بآذان موتاتهم كتعويذة تقيهم الشرور وهذا ما يفسر وجود العديد من المومياءات المصرية دون آذان.

وقدس الإغريق السرة ورمزوا إليها بحجرة اسمها (الأومفالوس) واعتبرها سرة العالم وهي موجودة في دلهي حيث الآلهة...

وكان قدماء المصريين يعرفون أن الأعضاء التناسلية هي التي تهب الحياة وخاصة الذكرية منها فقدسوها.. ويرى علماء الآثار أن المسلات الفرعونية هي رموز ذكرية عن قوة الخصب وخلق الشمس.. لكن طوائف أخرى قدست العضو التناسلي الأنثوي معتبرين أنه هو رمز الخصب والعطاء واستمرار الحياة.. وقد اختلفت المعتقدات في هذا الصدد حسب اعتقاد كل شعب فيما يتعلق بالمرأة أو حسب وضع المرأة لدى كل شعب.

ومزج الهندوس والإغريق والرومان وشعب ما بين النهرين المرأة بالأرض من حيث الخصوبة.. كما ارتبطت المرأة عندهم بالقمر أيضاً لأن دورتها الشهرية تساوي تقريباً الدورة القمرية.

والزواج الجنسي في النحت الهندي يرمز لقران الروح مع الآلهة.. وفي الفن البوذي يرمز القران الجنسي للآلهة إلى قران الذكورة التي تعكس اليقظة أما الخنوثة فكانت

لدى العديد من الشعوب صفة الآلهة الأكثر اكتمالاً وخاصة الإله الهندي (شيفا) الذي يعتقد الهنود أن نصفه الأيمن ذكر ونصفه الأيسر أنثى وهو تعبير عن الوحدة والكمال..

وكان اليونان والرومان يجسدون الخنوثة في تمثال جسم بشري نصفه الأعلى أنثى والأسفل ذكر.. كما أبدع الفراعنة وشعوب ما بين النهرين غيلاناً خنوثية خيالية ليس لها أساس في الواقع أبداً..

وفيما يتعلق بالعيون فقد اعتقد المصريون القدماء أن عين الإله حوريس هي الشمس أو اله الشمس أو الأبدية.. أما العين الناتئة أو الجاحظة بالنسبة لليابانيين القدماء فهي رمز للقدرة الإلهية الخارقة وفي الهند كان للإله شيفا عين ثالثة فيما يعني أنه يرى كل شيء.

وقد صورت الأساطير القديمة جميع المسوخ بعين واحدة وكذلك المردة الشريرون في القصص الشعبية. وبالنسبة لليد فقد اعتقدت شعوب مصر القديمة وروما القديمة أنها متعلقة بصناعة الفخار لأن اله الخزف موجود في جميع البلدان فقد سماه الفراعنة (خنوم) فيا سماه الرومان (تامي) وفي بلاد الرافدين (أنكيدو) وفي ديانة آمون التوحيدية في مصر فإن الكوكب الشمسي (آتون) يصدر أشعة متلألئة منتهية بأيد توزع الحياة وهي منقوشة على عرش الفرعون الإله توت عنخ آمون..

الخاتمة



وإذا قال إبراهيم لأبية آزر أتتخذ أصناماً آلهة أني أراك وقومك في ضلال مبين ۞ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ۞ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۞ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۞ فلما رأى الشمس

بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا
قوم إني بريء مما تشركون ۞ إني وجهت وجهي
للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من
المشركين ۞

سورة الأنعام
من الآية ٧٤ ـ إلى الآية ٨٠.



ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ۞ قالوا وجدنا ۞ آباءنا لها عابدين ۞ قال لقد كنتم، انتم وآباؤكم في ضلال مبين ۞ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ۞ قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين ۞ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ۞ فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون ۞ قالوا من فعل ذلك بآلهتنا انه لمن الظالمين ۞ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ۞ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ۞ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ۞ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ۞ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم

الظالمون۞ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علم ما
هؤلاء ينطقون۞ قال أفتعبدون من دون الله ما لا
ينفعكم شيئا ولا يضركم۞ أف لكم ولما تعبدون
من دون الله أفلا تعقلون ۞ قالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم إن كنتم فاعلين۞ قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على إبراهيم.

سورة الأنبياء

من الآية ٥١ إلى الآية ٦٩



وقد وردت قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم في أكثر من موضع ومن قبله وردت في التوراة والإنجيل.

فقد كان أبوه أزر [كما ورد في القرآن الكريم] وتارح كما ورد في التوراة يصنع الأصنام لقومه بيديه ليعبدوها فيما كان مع اخوته ناصور وحارات برعيان الغنم في أطراف مدينة أور في وادي الفرات التي كانت إحدى أهم حواضر الكلدانيين. مما أتاح له فرصة عظيمة للتأمل في كل ما يدور حوله وبدأ يتساءل كيف يمكن أن يركع أمام صنم صغير لا يضر ولا ينفع وما هي القوة الخارقة أو القدسية التي تتمتع

بها هذه المعبودات المصنوعة من الطين وعندما لم يجد جوابا مقنعا إنهال على الأصنام في معبد المدينة بفأسه فحطمها إلا واحدا كان أكبرها حجما ثم وضع الفأس في يد الصنم الذي نجى من التحطيم وانتظر ليعرف ما الذي سيحدث نتيجة ذلك.

وعندما قدم والده الذي كان مشرفا على هذه الأصنام مع بعض قومه إلى المعبد هالة المنظر فسأل ابنه في غيظ (أهو أنت الذي فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم)؟ فأجاب مشيرا إلى الصنم الباقي (بل فعله كبيرهم هذا فقد تشاجر معهم فتناول الفأس وانهال بها في هياج شديد على رؤوسهم ليحطمها فقال أبوه: وأنك لتعلم بأن هذه الأصنام لا يستطيعون الشجار والتقاتل.. إنك تكذب إنك أنت الذي فعلت ذلك بآلهتنا وسأله إبراهيم.. إذا صح ما تقوله يا أبي من أن هذه الأصنام لا تستطيع الشجار والتقاتل... ولا تستطيع أن تفعل شيئا قط فلأي شيء تصلح إذن؟ فأجابه إنها تعبد.. فقال إبراهيم صارخا... لها أعين ولكنها لا تبصر وآذان ولكنها لا تسمع وأيدي ولكنها لا تتحرك فمن المؤكد أنها لا تصلح لشيء لهذا كسرتها فما كان من المعقول أن تعبدوا ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم)

وبعد أن رموه بالنار ونجا منها بإذن الله بدأ رحلة جديدة من التأمل حيث تأكد أن هناك إلها هو الجدير بالعباد فبدأ بالبحث عنه فرآى القمر وأعتقد انه ربه الخالق

وعندما أفل تيقن أنه ليس جديراً بالربوبية ثم رأى النجم فاعتقد انه الإله وعندما أفل عرف انه غير جدير بالألوهية وعندما رأى الشمس قال هذا أكبر لا بد أن يكون هو الاله الخالق وعندما غابت عدل عن هذا التفكير.. ثم أخذ بالتعمق أكثر ليهديه الله إليه ويجعله نبياً يدعو الناس إلى عبادة الله الاله الحق خالق الشمس والقمر والنجوم وكل شيء إلى عبادة الله الذي ياتي بكل موسم في موسمه ويعطي المطر ويجعل الحقول غنية بالمراعي والنعاج المثقلات بالحملان.

وبدأت السلطة التي كانت قائمة آنذاك وزبانيتها بمطاردة ابراهيم وعائلته.. وعندما هرب كفت السلطة عن مطاردة عائلته.. أما هو فقد تابع سيره حتى بلغ جنوب فلسطين والأردن الذي كانت قبيلة كنعان العربية تسكنه والتي اعتنقت الدين الجديد الذي يدعو اليه إلى أن هاجر وأتباعه إلى مصر ومولد موسى عليه السلام.

وقد لاحظنا خلال دراستنا أن الغالبية العظمى من شعوب العالم قد آمنت بالإله الخالق القادر فمنهم من تصوره إنسان ضخم ومنهم من تصور الشمس إلهاً أو القمر أو الريح أو غيرها.. لكن في المحصلة فإن جميع هذه الشعوب حتى المتوحشة منها قد آمنت بهذا الإله الخالق.. القادر على كل شيء والذي سيحاسب الناس فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.

وقد اختلفت تسمية هذا الإله من شعب إلى آخر.. تماماً كما اختلفت طقوس عبادته وذلك ناتج عن تمايز لغات الاتصال وإيجاد لغات جديدة تفرعت عن اللغة الأولى لبني الإنسان وهي لغة الأصوات والإشارة التي تطورت إلى لغات متكاملة وجدت بعدها الكتابة مما أتاح تدوين تجارب الشعوب لكن بشكل متأخر لم يواكب التطورات الاجتماعية والإنسانية واللغوية والتطورات التي طرأت على أدوات الاتصال.. وكان هذا الاختلاف ناتج عن التطورات السالفة الذكر.

فإن كنا نعتبر أن تسميات الشعوب للإله قديماً وحديثاً اختلافاً في ماهية هذه الآلهة وصفاتها وقدراتها فلماذا لا نعتبر هذا الاختلاف في عصرنا الحالي اختلافاً في الماهية؟.. قبل الجواب على هذا السؤال لابد أن نأخذ بعين الاعتبار تطورات وسائل الاتصال التي جعلت العالم قرية صغيرة وبالتالي جعلت شعوب العالم تفهم أساليب التفكير لدى كل شعب على حدا وتفهم لغته مما خلق تفاهماً على توحيد معنى تسمية الخالق من لغة إلى أخرى.. فالإنكليز والأمريكيون مثلاً يطلقون على الله تسمية (جاد) فيما يسميه الفرنسيون (ديو) والإيطاليون (ديوس) وهكذا لكن جميع هذه التسميات تأخذ معنى موحداً يصب في باب التوحيد أي أن الفرنسيين والإنكليز والعرب وجميع شعوب العالم تقريباً وخاصة أولئك الذين يؤمنون بالديانات السماوية يعتقدون باله واحد.

واعتقد أنه لو كانت وسائل الاتصال على مستوى التطور الحالي الذي نعيشه أو على الأقل على نفس المستوى الذي بدأ مع إيجاد الكتابة والأبجدية لما وجدنا هذا التمايز في معنى تسميات الآلهة لان مصدر الاعتقاد بهذه الآلهة واحد وهو الديانة القديمة التي نزل بها سيدنا آدم عليه السلام وترسخت في أذهان الناس والشعوب عبر تناقلها من جيل إلى جيل.

وانطلاقا من الافتراض القائل بأن التجربة الإنسانية واحدة أو بمعنى أصح متماثلة إضافة إلى ما تكرس في لاوعي البشرية من أقاصيص وأساطير دينية نقلها إليه أجدادهم مما جعل التجربة الدينية أيضاً متماثلة.. ولا ضير في هذا السياق من إجراء مقارنة بين معتقدات بعض الهنود القدماء الذين يعتقدون بالإله وشنو.. والإنسان النبي كرشنه الذي حل فيه هذا الإله.. وبين ما جاء في الأناجيل حول النبي عيسى عليه السلام إلى جانب ما تعلق بهما من أساطير.. فكرشنه ولد من عذراء مخطوبة اسمها ديفاكي حيث يصفونه بأنه اله وأن ولادته أحيطت بعجائب فالأرض سبحت وظهر نجمه في السماء وترنمت الأرواح فرحاً وطرباً.. وعند ولادته في أحد الكهوف أنير هذا الكهف بنور عظيم... كذلك اعتقد النصارى في مريم وابنها المسيح عليه السلام بنفس الاعتقادات التي اعتقدها الهنود في كرشنه وأمه...

وفي هذا السياق نقتطف مقارنة أوردها محمد أبو زهرة في كتابه مقارنات الأديان والديانات القديمة لتسليط مزيد

من الأضواء حول موضوع توحد التجربة الإنسانية علماً بأن ديانة الهنود هي الأقدم والمسيحية هي الأحدث.

فالهنود يقولون.. قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنه بن الله وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة.. فيما قال المسيحيون: دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال سلام لك.. الرب معك..

ويقول الهنود أيضاً: عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء في حين يقول الإنجيل: لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته

كذلك يقول الهنود. لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة... فيما يقول المسيحيون: لما ولد المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام مطربة ويقول الهنود أيضا: كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد بغار بحال الذل والفقر... والمسيحيون يقولون كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه ملك اليهود، ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار

ويقول الهنود.. آمن الناس بكرشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب أما المسيحيون فيقولون آمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومرمر

وتطول المقارنة فيما لو أردنا أن نورد جميع المطابقات في الديانة البرهمية والديانة المسيحية.. كذلك تطول المقارنة لو أردنا إجراءها بين جميع الأديان.. لكن الباحث المتتبع لاشك أنه سيكتشف هذا التطابق في العديد من النواحي... مما يدل على وحدة التجارب الإنسانية ووحدة مصدر هذه الأديان ويدل على أن هذه الأديان تعرضت للتشويه حتى وصلت إلى ما هي عليه من خلال تناقلها على السنة الناس وخاصة قبل مرحلة اكتشاف اللغة والتدوين التي سمحت بتدوين الديانات السماوية وحفظتها من التشويه وأوصلتها إلينا كما هي

المراجع

- القرآن الكريم
- إنجيل لوقا
- إنجيل مريم
- إنجيل متى
- قصة الحضارة ٢٢ جزءاً وودل ديورالت ـ ترجمة محمد بدران
- قصص الأنبياء ـ عبد الوها النجار ـ دمشق ١٩٨٠
- زرادشت الحكيم حامد عبد القادر
- كونفوشيوس ـ د. حسن سعفان ـ القاهرة ـ ١٩٧٤
- بوذا الأكبر ـ د. حسن عبد القادر ـ بيروت ـ ١٩٦٩
- قصة بوذا ـ عبد العزيز أحمد زكي ـ القاهرة

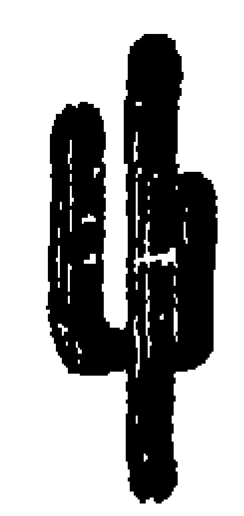
- بلاد ما بين النهرين ـ ديلا بورت ترجمة محرم كمال ـ القاهرة
- ايران في عهد الساسانيين . كريس تنسن ـ ترجمة يحيى الخشاب . بيروت
- تاريخ الأديان وفلسفتها . طه الهاشمي ـ بيروت ـ ١٩٦٣
- قصة الديانات ـ سليمان مظهر ـ القاهرة ـ بيروت ـ ١٩٨٤
- أحمد توكلي ـ الديانات القديمة ـ القاهرة ١٩٦٥
- الديانات الشرقية والديانات القديمة ـ القاهرة ـ عدد من الباحثين ـ المجلد الثاني ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ـ دار الأفكار.
- مقارنات الأديان القديمة ـ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٥٧
- مصر والشرق الأدنى القديم ـ د . نجيب ميخائيل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٧٧.
- حضارة مصر والشرق القديم ـ د. محمد أنور شكري ـ القاهرة
- مصر الفرعونية ـ د . احمد فخري ـ القاهرة ـ دار المحبة ـ ١٩٧١
- تاريخ الهند ـ المجلد الثاني (دو آن) عدد من الباحثين ت بيروت ـ ١٩٨٥
- العقلية البدائية ـ بريج ـ ترجمة حسام مصطفى ـ القاهرة ١٩٧٦
- الشعوب البدائية ـ ليفي بريل ـ ترجمة محمد القص ـ بيروت ـ دار السعادة ـ ١٩٨٣.

• كتاب تشنويورانا ـ اراهي بارا ــ ترجمة حسن لطفي ــ بيروت ـ ١٩٦٥
• شرح مقدسات اليزيدية ـ الأب انتتاس ـ لندن ١٩٢٢.
• الديانات في افريقيا ـ هيوبر ديشان ـ ترجمة زكي حمدي ـ القاهرة.
• الصحف جريدة النهار ـ العدد ١١٧.
• مجلة الكويت الأعداد: ١٠٧ ـ ١١٧ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٦ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٤١ ـ ١٤٥
• مجلة العربي الأعداد: ٢٧٧ ـ ٢٩٦ ـ ٣٦٢ ـ ٤٤١
• مجلة معلومات العدد ٣٢.





إن هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يسلط الضوء على تفاصيل رحلة التفكير الإنساني بحثا عن الخالق من خلال الأنبياء والرسل الذين أرسلهم لهداية البشر ومن خلال الكتب السماوية التي شكلت دساتير إلهية تنظم حياة البشر وتوجههم نحو الخير، وكذلك ما وصلنا من معلومات تاريخية عن الأديان السابقة منذ عهد آدم عليه السلام



التوزيع في لبنان والأقطار العربية الأخرى
لبنان ـــ بيروت ☎ ٨٠٤٣٤٩